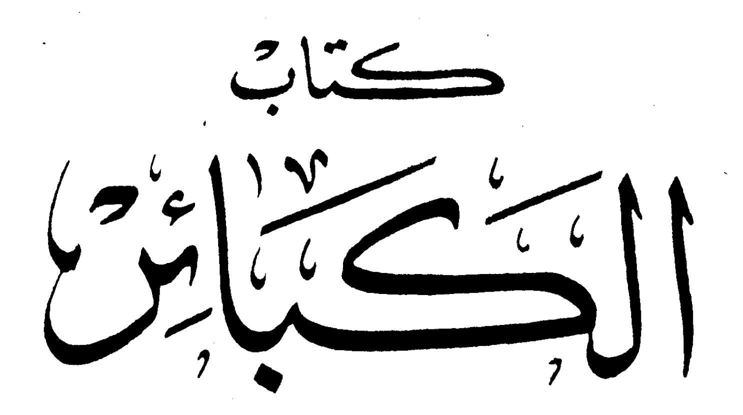


كتاب الكبائر

تأليف

الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٦٧٣ - ٧٤٨ هـ

طبعة مزيدة ومنقحة

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبي الدمشقي .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

أما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، أما من الوجود حفظًا ، وذهب العصر معنى ولفظًا ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، فكأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة .

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وطلب الحديث من يفاعته فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحل إلى بعلبك ، فسمع عن عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما .

رحل إلى مصر فسمع من شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، والحافظين : أبي محمد الدمياطي ، وأبي العباس بن الظاهري ، ورحل إلى الأسكندرية فسمع من علمائها وإلى حلب فسمع من سنفر الزيني وغيره .

أقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد ، وتناديه السؤالات من كل ناد ، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به ، وتزهى به الدنيا وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته في العلوم النقلية ، وقد عد ابن تغري في المنهل الصافي خمسة وستين كتابًا ، وفي ذيل تذكرة الحافظ : أن مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة .

من أهم مصنفاته :

١ ـ تاريخ الإسلام الكبير في واحد وعشرين مجلدًا .

٢ ـ تهذيب التهذيب .

٣ ـ ميزان الاعتدال .

٤ ـ طبقات الحافظ .

٥ ـ طبقات مشاهير القراء .

٦ ـ المغني في الضعفاء .

٧ ـ اختصار تاريخ دمشق .

٨ ـ المشتبه في أسماء الرجال .

٩ ـ سير النبلاء .

١٠ ـ رسالة في الرواة الثقات .

١١ ـ الكبائر الكبرى .

١٢ ـ العبر بأخبار من غبر .

وغيرها كثير ....

قال السيوطي :

« والذي أقوله : أن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزي والذهبي ، والعراقي وابن حجر» .

وقد جرى بعض العلماء على تأليف كتب تحض على الخير وترغب به ، وتزجر من المعاصي وترهب منها فهي كالزواجر والترغيب والترهيب ومنها كتاب الكبائر للإمام الذهبي وكان قد كتب الكبائر الكبرى ثم اختصرها في كتاب الكبائر اعتمد فيها ما صح وما قارب الصحة مع البيان البليغ المؤثر على العاطفة واجتهد على استبعاد الحشو والتطويل والحكايات الضعيفة فجاء الكتاب وافيًا بأغراضه ومقاصده وأدى صالح مهمته خير أداء فجاء أثرًا نفيسًا من آثار الإمام الحافظ في النفع والفائدة ، فهو عضد الخطيب والواعظ ، وسلوة الحائر والجازع وترقيق قلب القاس والتزهيد عن فضول حطام الدنيا والزجر عن المعاصي والمهلكات .

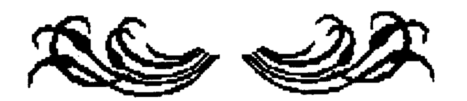
وتوفى الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ في دمشق بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح في قاعة سكنه ، ودفن بمقبرة الباب الصغير .

رحمه الله قدر ما أفاد الأمة الإسلامية بحفظ تراثها وتاريخها .

وله سبحانه الحمد والفضل . والأمر من قبل ومن بعد .

الناشــر

القاهرة في أول رجب ١٣٩٦ هـ



بســـم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمحرمات والمنهيات .

تعريف الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر على السلف الصالحين وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾**[1] .

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة وقال تعالى : **﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾**[2] .

وقال تعالى : **﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾** [3] الآيات .

وقال رسول الله ﷺ : **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات**[4] **لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »**[5] .

فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هي؟ لكي يجتنبها المسلمون [6] فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها .

---

(١) النساء : ٣١ .

(٢) الشورى : ٣٧ .

(٣) النجم : ٣٢ .

(٤) في نسخة « كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر .

(٥) رواه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح عن أبي هريرة رفعه واللفظ لمسلم قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدي قال شارحه : أما حديث جابر فأخرجه مسلم وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان وأما حديث حنظلة الأسيدي - يقال له حنظلة الكاتب - فأخرجه أحمد بإسناد جيد مرفوعا . . انتهى .

(٦) في نسخة : المسلم واعلم أن التوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء أكانت صغيرة أو كبيرة وأنها من مهمات الإسلام وقواعد الدين المتأكدة وأجوبتها عند أهل السنة تابعة بالكتاب والسنة وظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية على أن من تاب لله توبة نصوحًا واجتمعت شروط التوبة فيه فإنه يقبل منه توبته كرما منة وفضلا ومنه وإحسانًا . . . انتهى .

فقيل هي سبع واحتجوا بقول النبي ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم : «**اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها الشرك: بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» ، متفق عليه [1] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « **هي إلى السبعين أقرب** » وصدق والله ابن عباس [2] .

وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئًا من هذه العظائم بما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة[3] .

ولابد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدًا .

قال الله تعالى : ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[4] .

---

(١) متفق عليه ، أي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، قلت : وكذا رواه أبو داود والنسائي .

(٢) رواه عبد الرزاق والطبري في تفسيره عند قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » النساء : ٣١ .

(٣) والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الإسلام : أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوهما .

والصواب تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر في الذنوب بعضها أكبر من بعض .

وقال ابن عبد السلام الشافعي : لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذي قاله شيخ الإسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفي إيمان من أسلم الضوابط .

وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال ابن عباس هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولاصغيرة مع إصرار .

وفي رواية عنه : هي إلى السبعمائة أقرب وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين اهـ.

(٤) النساء : ٤٨ ، ١١٦ .

الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان :

أحدهما : أن يجعل لله ندًا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك . وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل . قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾[3] والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا فهو من أصحاب النار كما أن من آمن بالله ومات مؤمنًا فهو من أصحاب الجنة ، وإن عذب بالنار . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ـ ثلاثًا ـ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ، وكان متكئًا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا : « ليته سكت »[4] وقال ﷺ: « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[5] فذكر منها الشرك بالله وقال ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** » الحديث[6] .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال . كما قال الله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يُشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾[7] أي لا يرائي بعمله أحدًا . وقال ﷺ : « **إياكم والشرك الأصغر** » ، **قالوا : يا رسول الله ... وما الشرك الأصغر ؟ قال : « الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤنهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** »[8] وقال ﷺ : « **يقول الله : من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء** »[9] وقال : « **من سمع سمع الله به ، ومن رائى رائى الله به** »[10] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **رب صائم ليس له من**

---

(١) النساء : ٤٨ ، ١١٦ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) المائدة : ٧٢ .

(٤) متفق عليه .

(٥) تقدم تخريجه آنفًا .

(٦) رواه أحمد والبخاري .

(٧) الكهف : ١١٠ .

(٨) قال العراقي : رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات . قال المنذري : جيد . ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٩) رواه مسلم دون كلمة : « وأنا منه بريء » وهي عند ابن ماجه بسند صحيح . أهـ . عراقي .

(١٠) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ : « من رائى رائى الله به ، ومن سمع سمع الله به » وهو في الترغيب للمنذري كما في الأصل هنا والترمذي عن أبي بكرة رفعه . قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء .

صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعني أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له [١] كما روي عنه ﷺ أنه قال : **« مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئًا فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة»** [٢] . قال الله تعالى : **﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾** [٣] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، وروى عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **« يؤمر بفئام – أي جماعات – من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا ، فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم .. كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس – يعني لأجل الناس – ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتم من جزيل ثوابي »** [٤] وسأل رجل رسول الله : ما النجاة؟ فقال ﷺ : **«أن لا تخادع الله »** قال : وكيف يخادع الله؟ قال : **« أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الرياء فإنه الشرك الأصغر وإن المرائي ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر . ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع »** [٥] .

وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص ؟ فقال : المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .

وقيل لبعضهم : ما غاية الإخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس .

وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . اللهم عافنا منهما واعف عنا .

---

(١) رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد وابي مردويه والبيهقي عن الضحاك بن قيس رفعوه .
(٢) جعله ابن حجر في زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثًا نبويًا .
(٣) الفرقان : ٢٣ .
(٤) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر والنجار والحسن بن سفيان وذكره في الترغيب بصيغة التمريض وهي : روي عن عدي . . الخ . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ونازعه السيوطي .
(٥) ابن أبي الدنيا من رواية حبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ، وإسناده ضعيف . . اهـ العراقي .

قتل النفس

قال تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ۞ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا ۞ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿**وإذا الموءودة سئلت ۞ بأي ذنب قتلت** ﴾[4] .

وقال النبي ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[5] .

فذكر منها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[6] .

وقال رجل للنبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » قال : ثم أي؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قال : ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » فأنزل الله تعالى تصديقها : ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾[7] الآية . وقال ﷺ : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل: يا رسول الله ... هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه** »[8] .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا إنما يكون إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة علو ، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصًا على قتل صاحبه ، ومن قاتل باغيًا أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله إنما يدفعه عن نفسه ، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فإن الحديث لم يرد

---

(١) النساء : ٩٣ .
(٢) الفرقان : ٧٨ ـ ٨٠ .
(٣) المائدة : ٣٢ .
(٤) التكوير : ٨ ، ٩ .
(٥) تمام الحديث : قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي . قاله المنذري .
(٦) رواه البخاري ومسلم بدون الآية ورواه الترمذي والنسائي في رواية لهما مع ذكر الآية كلهم عن أبي مسعود الأنصاري قاله المنذري في الترغيب والترهيب .
(٧) الفرقان : ٧٨ .
(٨) رواه أحمد والشيخان كما في الزواجر .

في أهل هذه الصفة ، فأما من خالف هذا النعت فهو الذي يدخل في هذا الحديث الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : **« لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »**[1] . وقال رسول الله ﷺ : **« لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً »**[2] . وقال ﷺ : **« أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء »**[3] ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : **« لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »**[4] . وقال ﷺ : **« الكبائر : الإشراك بالله ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »**[5] وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار .

وقال ﷺ : **« لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل »** مخرج في الصحيحين .

وقال ﷺ : **« من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً »** أخرجه البخاري[6] .

فإذا كان هذا في قتل المعاهد وهو الذي أعطي عهداً من اليهود والنصارى في دار الإسلام ، فكيف بقتل المسلم ؟ .

وقال ﷺ : **« ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً »** صححه الترمذي .

وقال ﷺ : **« من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »** . رواه الإمام أحمد[7] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً »**[8] . **نسأل الله العافية .**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر وهو قطعة من خطبة (خطبة الوداع) .

(٢) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . رواه البخاري والحاكم . وقال : صحيح على شرطهما . والورطات : جمع ورطة وهي المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه . اهـ . ترغيب وترهيب للمنذري .

(٣) روراه البخارى ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن مسعود . قاله المنذري في الترغيب .

(٤) رواه النسائي والبيهقي من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله مرفوعاً وموقوفاً قاله المنذري . ورواه البيهقي والأصبهاني وابن ماجه بإسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه . . اهـ .

(٥) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . أهـ المنذري .

(٦) والنسائي عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر وكذا المنذري في الترغيب .

(٧) وابن ماجه وفي إسناده مقال قاله المصنف في رسالته الصغرى والأصبهاني كلهم عن أبي هريرة رفعه ورواه البيهقي من حديث ابن عمرو ورفعه ، ذكره المنذري في الترغيب وذكره بصيغة التمريض .

(٨) أخرجه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد . وروى أبو داود وابن حبان قال : وصححه عن أبي الدرداء رفعه . . اهـ ترغيب .

في السحر

لأن الساحر لابد وأن يكفر ، لأن السحر لابد وأن يكفر ، قال الله تعالى : **﴿ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾**[1] .

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به ، قال تعالى مخبرًا عن هاروت وماروت : **﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾**[2] أي نصيب .

فترى خلقًا كثيرًا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حرامًا فقط وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعلم السيمياء[3] وعملها وهو محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر ، قال النبي ﷺ : **«اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها السحر**[4] **والموبقات المهلكات ، فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة** . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **«حد الساحر ضربه بالسيف»**[5] والصحيح أنه من قول جندب .

وعن بجالة بن عبدة[6] أنه قال : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له ولا من تكهن ولا من تُكهن له ولا من تطير ولا من تُطير له .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : الكاهن ساحر والساحر كافر .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .
(٢) البقرة : ١٠٢ .
(٣) في بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف والمراد بها كيمياء السحرة التي غرضها الوصول إلى (أكسير الحياة) الذي يحول النحاس وغيره في زعمهم ذهبًا . أما الكيمياء الصناعية التي هي معرفة خواص الأجسام تحليلاً وتركيبًا فليست مرادة بهذا الذم .
(٤) تقدم آنفًا بلفظه وتخريجه .
(٥) رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه من قول جندب . . اهـ زواجر .
(٦) رواه البخاري .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر»** رواه الإمام أحمد في مسنده[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا قال : **« الرقى والتمائم والتولة شرك »**[2] التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد أشرك .

والتولة ـ بكسر التاء وفتح الواو ـ ؛ نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى[3] .

قال الخطابي[4] رحمه الله : وأما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة لأن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : **«أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »** والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) وابن حبان في صحيحه وأبو يعلى والحاكم وصححه . قال المنذري في الترهيب من شرب الخمر .

(٢) رواه أحمد وأبو داود ، قاله المصنف في رسالته الصغرى وابن حبان والحاكم وصححاه ، أفاده المنذري في ترغيبه .

(٣) فائدة : قال المصنف في رسالته الصغرى في آخر الكبيرة الثالثة : واعلم أن كثيرًا من هذه الكبائر بل عامتها - إلا الأقل - يجهل خلق من الأمة تحريمه وما يبلغه الزجر فيه ولا الوعيد . فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ في بلاد الكفرة البعيدة وأسر وجلب لأرض الإسلام وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف بالعربي فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم فبالجهد أنه يلفظ بالشهادتين فإن فهم بالعربي حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالي فبها ونعمت . ثم قد يصلي وقد لا يصلي وقد يلقن الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دين ما ، فإن كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام والكبائر واجتنابها وإتيانها؟ فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقادها فهو سعيد وذلك نادر فينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية . فإن قيل : هو فرط لكونه ما سأل عما وجب عليه . قيل : ما دار في رأسه ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه . ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ، فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رؤوف بهم . قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] . وقد كان سادة الصحابة بالحبشة وتنزل الواجبات والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم في تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص . . والله أعلم . اهـ (يلاحظ أن هذا الكلام كما قال الشيخ في عامة الكبائر إلا الأقل فهو لا يشمل الجهل بالشرك الأكبر) .

(٤) هو الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبي داود وغيرها توفي في سنة ٣٨٨هـ ببلدة بست .

في ترك الصلاة

قال الله تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً * إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾[1] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد ابن المسيب إمام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ، ولا يصلي العصر إلى المغرب ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي ، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾[2] أي غافلون عنها متهاونون بها .

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « **هو تأخير الوقت** »[3] أي تأخير الصلاة عن وقتها سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب ، وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[4] قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه الآية : الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين ، وهكذا قال النبي ﷺ : « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر** »[5] .

---

(١) مريم : ٥٩ .

(٢) الماعون : ٤ ، ٥ .

(٣) رواه البزار في مسنده من رواية عكرمة بن إبراهيم . وقال : رواه الحافظ موقوفًا ولم يرفعه غيره . قال المنذري : وعكرمة هذا هو الأزدي مجمع على ضعفه والصواب وقفه . يعني أنه من كلام سعد بن أبي وقاص . اهـ ترغيب . وقال به زيد بن علي في تفسير الغريب وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

(٤) المنافقون : ٩ .

(٥) عزاه المنذري في الترغيب إلى الأوسط للطبراني وأشار إلى ضعفه وذكر له شاهدًا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبراني في أوسطه أيضًا . وقال : لا بأس بإسناده إن شاء الله . . اهـ . وقال المصنف في الصغرى : حسنه الترمذي من حديث أبي هريرة اهـ . وكذا قال المنذري في الترغيب : رواه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة وقال : حسن غريب . اهـ . وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الداري رفعه .

وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : ﴿ **ما سلككم في سقر قالوا لم نكُ من المصلين ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** »[2]، وقال النبي ﷺ : « **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** »[3] حديثان صحيحان .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **من فاتته صلاة العصر حبط عمله** » وفي السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله** »[4] وقال ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** » متفق عليه[5] .

وقال ﷺ : « **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي ابن خلف** »[6] .

وقال عمر رضي الله عنه : أما إنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة .

وقال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته ، فإن اشتغل بماله حشر مع قارون وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة .

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل** »[7] . وروى البيهقي بإسناده[8] :

---

(١) المدثر : ٤٢ ـ ٤٨ .

(٢) رواه من حديث بريدة أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : حسن صحيح ولا نعرف له علة . . اهـ المنذري . وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ثوبان رفعه .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه بألفاظ متقاربة . اهـ المنذري . وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبراني في الكبير عن أنس رفعه .

(٤) رواه ابن ماجه والبيهقي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عند الطبراني في الأوسط وعنده في الكبير وعند أحمد وإسناده صحيح ومن حديث أمية مولاة رسول الله ﷺ عند الطبراني ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقي وكلها لا يخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذري في الترغيب .

(٥) من حديث عمر .

(٦) رواه أحمد بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه . اهـ . المنذري وقال المصنف في الرسالة الصغرى : ليس إسناده بذاك .

(٧) رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع ، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ وفي الأوسط للطبراني بإسناد لا بأس به في المتابعات . اهـ المنذري . قلت : وهو حديث طويل في النهي عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

(٨) أي في الشعب بسند ضعيف ، وقال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر ، قال : ورواه عمر . . اهـ عراقي .

أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام ؟ قال : «**الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين**» . ولما طعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . أما أنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة . وصلى رضي الله عنه وجرحه يثعب[1] دمًا . وقال عبد الله بن شقيق التابعي رضي الله عنه : كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، وسئل علي رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي . فقال : من لم يصل فهو كافر[2] ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه من لم يصل فلا دين له[3] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان[4] وقال رسول الله ﷺ : «**من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته - أي ما يفعل وما يصنع بحسناته - إذا كان مضيعًا للصلاة**»[5] . وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق . وقال إبراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر . وقال أيوب السختياني مثل ذلك .

وقال عون بن عبد الله : إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسئل عنه ، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ : «**إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتني ، وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني**»[6]

وروى أبو داود في سننه[7] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم من تقدم قومًا وهم له كارهون ومن استعبد[8] محررًا ورجل أتى الصلاة دبارًا**» والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته . وجاء عنه ﷺ أنه قال : «**من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الكبائر**»[9] فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين .

---

(١) يثعب بالعين المهملة : أي يسيل دمًا .
(٢) أخرجه الترمذي والحاكم عنه عن أبي هريرة ذكره المصنف في الصغرى .
(٣) رواه محمد بن نصر موقوفًا عليه . . اهـ المنذري .
(٤) رواه محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر بلفظ : فقد كفر . . اهـ . المنذري .
(٥) قال العراقي : في معناه حديث : «أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه : فإن فسدت فسد سائر عمله» رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس . . اهـ .
(٦) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء .
(٧) وكذا رواه ابن ماجه وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي مختلف فيه . أفاده المنذري .
(٨) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق ، قاله الخطابي في شرح السنن
(٩) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس وقال حنش : هو ابن قيس ثقة . قال المنذري : بل رواه بمرة لا نعلم أحدًا وثقه غير حصين . اهـ ترغيب .

فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها** » وفي رواية : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركًا لها ، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمدًا بعد البلوغ ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي وأحمد - رحمهم الله - : تارك الصلاة يقتل ضربًا بالسيف في رقبته . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها .

فقال إبراهيم النخعي[1] وأيوب السختياني[2] وعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل[3] وإسحاق بن راهويه[4] : هو كافر . واستدلوا بقول النبي ﷺ : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » وبقوله ﷺ : « **بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة** » .

(فصل) وقد ورد في الحديث[5] : « **أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب** » ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بخمسة عشر عقوبة : خمس في الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر ، فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى ينزع البركة من عمره ، والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت : فإنه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعًا والثالثة يموت عطشانًا ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه ، وأما التي تصيبه في قبره : فالأولى يضيق عليه قبره حتى

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي سنة ٩٦ هـ .
(٢) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١ هـ .
(٣) الإمام العالم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مات سنة٢٤١ هـ .
(٤) إسحاق بن إبراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه ، الإمام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ .
(٥) هذا الحديث لم يصح عن النبي ﷺ وإن كان رواه بعضهم ، والمصنف رحمه الله تعالى وإن كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل في هذا الكتاب في كثير من الأحاديث . . اهـ من هامش الأصل النجدي . قلت : عزاه السيوطي في ذيل الموضوعات إلى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ثم نقل عن الميزان : هذا حديث باطل ركبه محمد بن علي بن العباس على أبي بكر النيسابوري . وعن اللسان : هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية . . أهـ .

تختلف فيه أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نارًا يتقلب على الجمر ليلاً ونهارًا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظافره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف ، يقول : أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح ، فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعًا فلا يزال في الأرض معذبًا إلى يوم القيامة . وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار .

وفي رواية : فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات : **السطر الأول** : يا مضيع حق الله ، **السطر الثاني** : يا مخصوصًا بغضب الله ، **السطر الثالث** : كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار فيقول : يارب . . لماذا؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبًا .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يومًا لأصحابه : « اللهم لا تدع فينا شقيًا ولا محرومًا» ثم قال ﷺ : « **أتدرون من الشقي المحروم ؟ قالوا :من هو يا رسول الله ؟قال : تارك الصلاة**» .

وروي أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة وإن في جهنم واديًا يقال له : الملحم فيه حيات كل حية[1] تخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

(**حكاية**) روي أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا عظيمًا ، وقد تبت منه إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب عليَّ ، فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبي الله إني زنيت وولدت ولدًا فقتلته ، فقال لها موسى عليه السلام : اخرجي يا فاجرة لا تنزل نارًا من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة ؟ يا موسى أما وجدت شرًا منها ؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامدًا متعمدًا .

(**حكاية اخرى**) عن بعض السلف أنه أتى أختًا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما

---

(١) وصف حيات جهنم جاء في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند أحمد والطبراني عن طريق ابن لهيعة عن دراج عنه ، وقال الحاكم صحيح الإسناد . . اهـ منذري .

انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيًا حزينًا فقال : يا أماه . . أخبريني عن أختي وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمي . . رأيت قبرها يشتعل عليها نارًا ، قال : فبكيت . وقالت : ياولدي . . كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها . . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي ؟ فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها إنه جواد كريم .

(فصل) في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها :

وقد روي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[1] أنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال له : «**ارجع فصل فإنك لم تصل** » فرجع فصلى كما صلى ثم جاء النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال له : « **ارجع فصل فإنك لم تصل**» فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال : «**ارجع فصل فإنك لم تصل** » ثلاث مرات ، فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني ، فقال ﷺ : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً وافعل ذلك في صلاتك كلها** » .

وروى الإمام أحمد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تجزيء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود** » ورواه أبو داود أيضًا والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وفي رواية أخرى : « **حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود** » .

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة وهذا في صلاة الفرض ، وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه . وثبت عنه ﷺ أنه قال : « **أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها** »[2]

وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده**»[3] .

وقال ﷺ : « **تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان**

---

(١) الماعون : ٤ , ٥ .

(٢) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة قاله العراقي وكذا رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه بلفظ : « أسوأ الناس . . . » الخ . أفاده المنذري .

(٣) بإسناد صحيح قاله العراقي .

قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً »[1] .

وعن أبي موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يومًا بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلي فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله ﷺ : **«ترون هذا ؟ لو مات مات على غير ملة محمد - ﷺ - ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم»** أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى وإن لم يتمها ضربا بها وجهه»**[2] .

وروى البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها ، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها »**[3] .

وعن سلمان الفارسي[4] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين »** .

قال الله تعالى : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾[5] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس[6] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **« إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ، فإن الله تعالى أوحى إلي أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعرًا ولا ثوبًا فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته »** .

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أنه رأى رجلاً يصلي ولا

---

(١) متفق عليه من حديث أنس .

(٢) رواه الدارقطني في الأفراد وهو ضعيف . . اهـ من الجامع الصغير للسيوطي .

(٣) رواه الطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي . قلت : جاء ضعفه من الأحوص بن الحكيم .

(٤) في المسند عن سالم بن أبي الجعد عن سلمان قاله ابن القيم في رسالته في الصلاة . قلت : فيه انقطاع بين سالم وسلمان .

(٥) المطففين : ١ .

(٦) حديث ابن عباس أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء . . الخ متفق عليه ، وروى إسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه في فوائده عن عكرمة عن ابن عباس : « إذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض فإنكم قد أمرتم بذلك» اهـ من نيل الأوطار .

يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة : ما صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد ﷺ . وفي رواية أبي داود أنه قال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة ، قال : ما صليت منذ أربعين سنة شيئًا ولو مت مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم . . أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة . كما تقدم من قول النبي ﷺ : « **أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك** »[1] . فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

(فصل) في عقوبة تارك الصلاة – في جماعة – مع القدرة : قال الله تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون** ﴾[2] وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود .

قال إبراهيم التيمي : يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة .

وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون .

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على إتيانها .

وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق بيوتهم عليهم بالنار** » . ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم : أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . . ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ أن يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » قال : نعم . . قال : « **فأجب** » .

ورواه أبو داود عن عمرو ابن أم مكتوم : أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار – أي بعيد الدار – ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال : « **هل تسمع النداء ؟** » قال : نعم ،

---

(١) رواه الترمذي وغيره ، وقال : حسن غريب . اهـ منذري .
(٢) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

قال : **« فأجب فإني لا أجد لك رخصة »** .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته ، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليمًا لا عذر له ؟ .

ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع فقال : إن مات على هذا فهو في النار[1] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب[2] .

وروي[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسو الله ﷺ : **« من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى »** يعني في بيته .

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قومًا وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع: حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، ثم لم يجب »** .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد . قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان[4] .

وروى[5] البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا - يعني يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدي وإنهن من سنن الهدي ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة . وكان الربيع بن خيثم[6] قد سقط شقه في الفالج فكان

---

(١) رواه الترمذي موقوفًا قاله المنذري .

(٢) عزاه الشيخ ابن القيم في كتاب الصلاة له إلى وكيع عن عبد الرحمن بن حصين عن أبي نجيح المكي عنه .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه قاله المنذري .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبي حيان التيمي عنه كما في كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .

(٥) عزاه في الترغيب والترهيب إلى صحيح مسلم وأبي داود وكذلك عزاه المصنف في الصغرى والطيبي نقله عنه الفتح فما هنا من عزوه للبخاري سبق قلم أو تحريف من النساخ . . والله أعلم .

(٦) مخضرم قال له ابن مسعود : لو رآك النبي ﷺ لأحبك ، توفي سنة ٦٤ هـ . . اهـ خلاصة .

يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له : يا أبا محمد . . قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور ، فيقول :

هو كما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول : «**حي على الصلاة ، حي على الفلاح**» فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفًا أو حبوًا فليفعل .

وقال حاتم الأصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا .

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه .

وقال ابن عمر : خرج عمر يومًا إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر .

فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة ، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه .

الحائط : البستان فيه النخل .

(**فصل**) ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد فإن النبي ﷺ قال : « **إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين – يعني العشاء والفجر – ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا** »(١) .

وقال ابن عمر : كنا إذا تخلف منا إنسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق(٢) .

(**حكاية**) عن عبيد الله بن عمر القواريري(٣) رضي الله عنه قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط ، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت إلى بيتي وقلت : وقد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعًا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا أيضًا على فرس ونحن نستبق وأنا أركض فرسي فلا ألحقهم فالتفت إلي أحدهم فقال لي : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا ، قلت : ولم؟ قال : لأنا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك ، فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك .

فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قاله المنذري .
(٢) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه قاله المنذري .
(٣) شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مات سنة ٢٣٥ هـ . اهـ خلاصة .

منع الزكاة

قال تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾[2] فسماهم المشركين .

وقال تعالى : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[3] .

وثبت[4] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي **عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» . قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : « **ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر[5] أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** » . فقيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « **ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليسفيها عقصاء[6] ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها[7] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» . وقال ﷺ : « **أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور** »[8] .

وعن ابن عباس[9] رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق الله

---

(١) آل عمران : ١٨٠ .
(٢) فصلت : ٦ ، ٧ .
(٣) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .
(٤) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ والنسائي مختصرًا . . اهـ المنذري .
(٥) هو المستوي من الأرض الأملس .
(٦) العقصاء : الملتوية القرن . والجلحاء : التي لا قرن لها . والعضباء : المكسورة القرن .
(٧) الأظلاف للبقر والغنم كالحافر للفرس .
(٨) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وفي حديث أبي هريرة . . اهـ منذري .
(٩) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى الترمذي بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعًا ثم قال : وهو عن ابن عباس من قوله أصح . قال ابن كثير : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع . . اهـ .

يا ابن عباس . . فإنما يسأل الرجعة الكفار ، فقال ابن عباس : سأتلوا عليك بذلك قرآنًا .

قال الله تعالى : **﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ﴾**[1] أي أؤدي الزكاة **﴿ وأكن من الصالحين ﴾**[2] أي أحج ، قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معدًا للاستعمال فإن كان معدًا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

وتجب في قيمة عروض التجارة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ أي بشدقيه ـ فيقول أنا مالك .. أنا كنزك »** ثم تلا هذه الآية : **﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾**[3] أخرجه البخاري .

وعن ابن مسعود[4] رضي الله عنه في قوله تعالى في مانعي الزكاة : **﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾**[5] قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته . فإن قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قيل : لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبيه فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ؛ ليكون الجزاء من جنس العمل .

قال ﷺ[6] : **« خمس بخمس »** ، قالوا : يا رسول الله . . وما خمس بخمس ؟ قال : **« ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت[7] ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر »** .

(**موعظة**) قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم ، إنما في غد ثبورهم ، ما نفعهم ما جمعوا ، إذا جاء محذورهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ؟ ، أخذ المال إلى دار ضرب العقاب

(١ ، ٢) المنافقون : ١٠ .
(٣) آل عمران : ١٨٠ .
(٤) رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح . . اهـ منذري .
(٥) التوبة : ٣٥ .
(٦) ذكره بنحو هذا اللفظ المنذري وقال : رواه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد . اهـ .
(٧) وفي نسخة الجنون .

فجعل في بودقة[1] ليحمى ؛ ليقوى العذاب فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب ثم يجيء بمن عن الهدى قد غاب ، يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم ، ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، إذا لقيهم الفقير لقي الأذى ، فإن طلب منهم شيئًا طار[2] منهم لهب الغضب كالجذى[3] ، فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا وسؤال هذا لذا[4] ، ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا ، واعجبًا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب ، ويسئل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب ألا إن الشوك له وللوارث الرطب ، أين حرص الجامعين أين عقولهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، لو رأيتهم في طبقات النار ، يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار لما[5] بخلوا مع الإيسار ، لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم ، وقد ضج صبورهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع ، كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع ، كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع ، فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعًا أقرع ، فما هي عصا موسى ولا طورهم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

(**حكاية**) روي عن محمد بن يوسف[6] الفرياني قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابي[7] في زيارة أبي سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جارًا لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه ؟ قال : بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا . . ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره إذ صوت من قبره يقول : آه . . أقعدوني وحيدًا أقاسي العذاب ، وقد كنت أصلي قد كنت أصوم ، قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله وإذا القبر يشتعل عليه نارًا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة

(١) البودقة أو البوتقة هو ما يصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة .
(٢) وفي نسخة : نار .
(٣) الجذوة : الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح . جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضًا فتكسر في الجمع مثل جذية وجذى . . اهـ مصباح .
(٤) وفي نسخة : لهذا .
(٥) وفي نسخة مما .
(٦) هو صاحب الثورى وأحمد وإسحاق والبخاري ولد سنة ١٢٠هـ وتوفي سنة ٢١٢هـ
(٧) مما يدل على التخليط والاختلاف في هذه الحكاية ما ذكر في آخرها أنهم أتوا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكروا له القصة وقد توفي أبو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابي بأكثر من ثمانين سنة فكيف يلتقيان .

الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله ، قال : فقلنا : هذا تصديق قوله تعالى : **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾**[1] وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة ، قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له : يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك . فقال : أولئك لا شك أنهم في النار وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا . قال الله تعالى : **﴿فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾**[2] . **فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم .**

الكبيرة السادسة :

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفراً فعدة من أيام أخر﴾**[3] .

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال :

« بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

وقال ﷺ[4] : **« من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه »** .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : **« عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، وصوم رمضان »** .

فمن ترك واحدة منهن فهو كافر .

نعوذ بالله من ذلك .

---

(١) آل عمران : ١٨٠ .
(٢) الأنعام : ١٠٤ .
(٣) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٤) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل : أبي المطوس عن أبيه عن أبي هريرة وذكره البخاري تعليقاً غير مجزوم ويذكر عن أبي هريرة رفعه . . الخ . قال البخاري : لا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا ؟ وقال ابن حبان : لا يحتج بما انفرد به والله أعلم . . اهـ منذري . وقال المصنف في الصغرى هذا لم يثبت . . اهـ .

في ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ[2] : « **من ملك زادًا وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا** » .

وذلك لأن[3] الله تعالى يقول : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب[4] رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ، وما هم بمسلمين .

وعن ابن عباس[5] رضي الله عنهما قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد ذكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت ، فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكفار .

قال : وإن ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق** ﴾[6] أي أؤدي الزكاة ﴿ **وأكن من الصالحين** ﴾[7] أي أحج ﴿ **ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾[8] .

قيل : فيم تجب الزكاة ؟ قال : بمائتي درهم وقيمتها من الذهب ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

(٢) رواه الترمذي والبيهقي من رواية الحارث أي«الأعور»عن علي قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي من حديث أبي أمامة . اهـ منذري .

(٣) وفي نسخة : بأن ، وفي نسخة : أن .

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر فذكره قاله ابن كثير في تفسيره .

(٥) تقدم في منع الزكاة .

(٦ ، ٧) المنافقون : ١٠ .

(٨) المنافقون : ١١ .

عقوق الوالدين

قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾[1] أي برًا بهما وشفقة وعطفًا عليهما ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا ، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما ، ثم قال تعالى : ﴿ **وقل لهما قولاً كريمًا** ﴾[2] لينًا لطيفًا ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا**﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾[4] .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

إحداها قوله تعالى : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[5] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

الثانية : قوله تعالى: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[6] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك** ﴾[7] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ، ولذا قال النبي ﷺ : « **رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين** »[8] .

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه فقال النبي : « **أحي والداك ؟** » قال : نعم . . قال : « **ففيهما فجاهد** » مخرج[9] في الصحيحين. فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد .

---

(١) الإسراء : ٢٣ .
(٢) الإسراء : ٢٣ .
(٣) الإسراء : ٢٤ .
(٤) لقمان : ١٤ .
(٥) النساء : ٥٩ ، النور : ٥٤ .
(٦) النور : ٥٦ .
(٧) لقمان : ١٤ .
(٨) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ورجح وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الطبراني بلفظ طاعة الله . . الخ . . اهـ منذري .
(٩) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . . اهـ منذري .

وفي الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين** »[2] فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك .

وفي الصحيحين أيضًا : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر** » ، وعنه ﷺ قال[3] : « **لو علم الله شيئًا أدنى من الأف لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار** » وقال ﷺ : « **لعن الله العاق لوالديه** » وقال ﷺ : « **لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه** »[4] ، وقال ﷺ[5] : « **كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه** » يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقًا لوالديه ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارًا بوالديه ليزيده برًا وخيرًا ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا [6] فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . . إن أبي يريد أن يجتاح مالي ؟ فقال ﷺ : « **أنت ومالك لأبيك** » . وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين : ما هو؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه لم يعطهما ، وإذا ائتمناه خانهما .

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما[7] عن أصحاب الأعراف : من هم؟ وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة . فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره .

---

(١) وكذا رواه الترمذي ثلاثتهم من حديث أبي بكر . . اهـ منه .

(٢) تمامه : وكان متكئًا فجلس وقال : « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

(٣) ورواه الديلمي من حديث أحرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بي علي ، وأحرم كذاب قاله في ذيل الآليء للسيوطي .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس . . اهـ منذري .

(٥) رواه الحاكم من حديث أبي بكر وقال : صحيح الإسناد . . اهـ منذري .

(٦) رواه ابن ماجة من حديث يوسف بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فذكره . وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوي وبقي بن مخلد والطبراني في الأوسط وله طرق أخرى عدها السخاوي في المقاصد الحسنة .

(٧) رواه سعيد بن منصور عن أبي معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدني عن أبيه عن النبي ﷺ ، وكذا رواه ابن مردويه ، وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به ، وروي مرفوعًا عند ابن ماجة في حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير في صحة المرفوع وقال : وقصارها أن تكون موقوفة . . اهـ .

وفي الصحيحين[1] أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله . . من أحق الناس مني بحسن الصحبة ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب** » فحض على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة وما ذلك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر . . أتراني جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلمًا ، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا** » .

وقال ﷺ[3] : « **الجنة تحت أقدام الأمهات** » وجاء رجل[4] إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال : يا أبا الدرداء . . إني تزوجت امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه** » وقال[5] ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** » ، وقال ﷺ[6] : « **الخالة بمنزلة الأم** » أي في البر والإكرام والصلة والإحسان .

وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : « **يا موسى .. وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عق والديه قصرت في عمره ، ووهبت له ولداً يعقه** » .

وقال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل .

وقال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم .

---

(١) وفي نسخة : وفي الصحيح .
(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد (قال الحافظ المنذري) فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك . . اهـ ترهيب .
(٣) روى نحوه ابن ماجة والنسائي والحاكم من حديث جاهمة بلفظ : « هل لك أم ؟ » قال : نعم . قال : « فالزمها فإن الجنة تحت رجلها » . . اهـ منذري .
(٤) رواه ابن ماجة والترمذي وقال صحيح وابن حبان نحوه وله شاهد عن ابن عمر رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان وقال الترمذي : حسن صحيح . . اهـ منذري .
(٥) قال المنذري : وفي رواية : حسنه الترمذي فذكره كما هنا عن أبي هريرة ثم قال : وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبراني بإسناد صحيح . . اهـ ترغيب ملخصًا .
(٦) صححه الترمذي ، قاله المصنف في رسالته الصغرى .

وعن عمرو بن مرة الجهني[1] قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله . . أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه** » .

وقال ﷺ : « **لعن الله العاق والديه** »[2] .

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **رأيت ليلة أسري بي أقوامًا في النار معلقين في جذوع من نار ، فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا** » .

وروي أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض .

ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه . وأشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة : المشرك ، والزاني ، والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها ، إلا كان هو وامرأته إليَّ أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله ، والنظر إليهما أفضل من كل شيء .

وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صلبي . وقالت المرأة : يا رسول الله . . حمله خفًا ووضعه شهوة ، وحملته كرهًا ووضعته كرهًا وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه[3] .

(**موعظة**) أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام أمك ، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج .

وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنًا ، وأطارت لأجلك وسنًا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا ، وصيرت حجرها لك مهدًا ، وأنالتك إحسانًا ورفدًا ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارًا ،

---

(١) رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما باختصار . . اهـ منه .

(٢) قال المصنف في الصغرى : إسناده حسن .

(٣) روى أحمد وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو هذا الحديث .

فدعت لك بالتوفيق سرًا وجهارًا فلما احتاجت عند الكبر إليك جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهي جائعة ورويت وهي قانعة . وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان .

وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها سواك نصير .

هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ، ستعاقب في دنياك بعقوق البنين .

وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : **﴿ ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾**[1] .

لأمك حق لو علمت كثيرًا	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنانًا وإشفاقًا وأنت صغير
فآهًا لذي عقل ويتبع الهوى	وآهًا لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير

(**حكاية**) حكي[2] أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ إن زوجي علقمة في النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله ، فأرسل النبي ﷺ عمارًا وصهيبًا وبلالاً وقال : **«امضوا إليه ولقنوه الشهادة»** فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع فجعلوا يلقنونه : « لا إله إلا الله » ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة .

---

(١) الحج : ١٠ .

(٢) في الترغيب والترهيب : روي عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه . فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ثم قال : رواه الطبراني وأحمد مختصرًا . . اهـ. وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية هذا الشاب ثم قال : لا يصح فائد - أي ابن عبد الرحمن بن العطار - متروك . قال العقيلي : لا يتابع عليه ، وداود - يعني ابن إبراهيم قاضي قزوين - كذاب . . اهـ . ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساويء الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى نحوه .

فقال النبي ﷺ : «**هل من أبويه أحد حي ؟** » قيل : يا رسول الله . . أم كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول :

« **قل لها : إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك** » ، قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ ، فقالت : نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه فتوكأت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : « **يا أم علقمة.. اصدقيني وإن كذبتي جاء الوحي من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة ؟**» قالت : يا رسول الله كان كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة .

قال رسول الله ﷺ : « **فما حالك ؟** » قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة ، قال : «**ولم؟**» قالت : يا رسول الله كان يؤثر علي زوجته ويعصيني .

فقال رسول الله ﷺ : « **إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة** » . ثم قال : « **يا بلال انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا** » ، قالت : يا رسول الله وما تصنع ؟ قال : «**أحرقه بالنار بين يديك** » ، قالت : يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي ، قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة ، فقالت : يا رسول الله . . إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة .

فقال رسول الله ﷺ : « **انطلق إليه يا بلال وانظر هل يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله أم لا ، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني** » .

فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله إلا الله ، فدخل بلال فقال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه ، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره وقال :

« **يا معشر المهاجرين والأنصار .. من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها ، فرضا الله في رضاها ، وسخط الله في سخطها** » .

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه .

وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

هجر الأقارب

قال الله تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾[1] . أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقال تعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**﴾[3] وقال الله تعالى : ﴿ **يضل به** ﴾ أي بالقرآن ﴿**كثيراً ويهدي به كثيراً وما يُضل به إلا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون** ﴾[4] أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة قاطع رحم** » فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيًا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم يصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة** »[5] وإن كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبي ﷺ : «**صلوا أرحامكم ولو بالسلام** » .

وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** »[6] وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها** » . وقال ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا الرحمن .. وهي الرحم فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته** »[7] وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال لولده : يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه[8] أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) النساء : ١ .
(٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) الرعد : ٢٠ ، ٢١ .
(٤) البقرة : ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) رواه الطبراني ورواته ثقات من حديث أبي هريرة وفي سنده عبد الله بن عامر الأسلمي ، قال أبو حاتم : ليس بالمتروك . . اهـ منذري .
(٦) رواه البخاري واللفظ له ، وأبو داود والترمذي . . اهـ منذري .
(٧) رواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه . وقال الترمذي : حسن صحيح . وتعقيب المنذري تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئًا .
(٨) عزاه في الترغيب والترهيب إلى الأصبهاني من رواية عبد الله بن أبي أوفى ، وأشار إلى ضعفه ، وعزاه في الجامع الصغير إلى الأدب المفرد للبخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى وضعفه .

أحلف على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخي . فقال : إني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أحلف على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبي هريرة واسأله لم ذلك ؟ فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ .

فقال أبو هريرة : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم** » وحكي أن رجلاً من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسومًا بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات فسأل أهله عن ماله علم أنه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله ، فقالوا له : إذا كان نصف الليل فأت زمزم[1] وانظر فيها وناد : يا فلان . . باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : « **إنا لله وإنا إليه راجعون** »[2] نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار . اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيه بالليل ونادي يا فلان ، فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى : يا فلان . . فأجابه ، فقال : أين ذهبي قال : « دفنته في الموضع الفلاني من داري ولم أئتمن عليه ولدي فأتهم واحفر هناك تجده ، فقال له : ما الذي أنزلك هنا وكنا نظن بك الخير ؟ فقال : كان لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله سبحانه بسببها وأنزلني هذه المنزلة .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله ﷺ : « **لا يدخل الجنة قاطع رحم** » يعني قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب .

فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم .

---

(١) قال الإمام ابن القيم في كتابه الروح : وأما من قال : إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوثق به ، وليس بصحيح فإن تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمنين طائر يعلق في ثمر الجنة ، وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها . . اهـ وناقش ما قيل أن أرواح بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضر موت مناقشة طويلة قال في آخرها : ولعله مما تلقاه - يعني قائله - من أهل الكتاب . . اهـ فراجعه في مسألة الأرواح من كتابه المذكور .

(٢) البقرة : ١٥٦ .

الزنــا

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا إلا من تاب** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾[3] .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ . فإن لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن في الزبور مكتوبًا : أن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه؟ .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن** »[4] . وقال ﷺ[5] : « **إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان** » . وقال ﷺ : « **من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه** »[6] .

وفي الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر** »[7] وفي رواية زيادة « **الديوث** » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله . . أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » فقلت : إن ذلك لعظيم

---

(١) الإسراء : ٣٢ .
(٢) الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠ .
(٣) النور : ٢ .
(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة .
(٥) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة قاله المنذري وقال المصنف في صغراه : هذا على شرط البخاري ومسلم .
(٦) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة . أفاده المنذري .
(٧) رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة .

ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزني بحليلة جارك**»[1] - يعني زوجة جارك -

فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا * إلا من تاب**﴾[2] .

فانظر رحمك الله كيف قرن الله الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب وفيه : أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات ، قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أي صاحوا من شدة حره - فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزواني - يعني من الرجال والنساء - فهذا عذابهم إلى يوم القيامة[3] . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء[4] في تفسير قوله تعالى عن جهنم : ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾[5] قال : أشد تلك الأبواب غمًا وحرًا وكربًا وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم .

وعن مكحول الدمشقي[6] قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون : ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة .

وقال ابن زيد[7] أحد أئمة التفسير : إنه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة .

وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزني فأحجب عنك وجهي . فإذا كان هذا شأن الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟ . وجاء عن النبي ﷺ أن إبليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلمًا ألبسته التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجيء إليه أحدهم ، فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته . فيقول : ما صنعت شيئًا سوف يتزوج غيرها .

ثم يجيء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول ما

(١) تقدم تخريجه في الكبيرة الأولى : (الشرك) .
(٢) الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .
(٣) رواه البخاري في حديث طويل .
(٤) عطاء ، إما ابن أبي رباح اليماني نزيل مكة أحد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفى في سنة ١١٤ هـ ، وإما ابن يسار المدني أحد الأعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ .
(٥) الحجر : ٤٤ .
(٦) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعي وغيره ، مات سنة ١١٣ هـ .
(٧) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، جده أسلم وعبد الرحمن ضعيف في الحديث من قبل حفظه توفي ١٨٢ هـ .

صنعت شيئًا سوف يصالحه ، ثم يجيء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول إبليس : نعم ما فعلت ، فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده . وعن أنس[1] قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنا العبد نزع الله منه سربال الإيمان فإن تاب رده عليه** » ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **يا معشر المسلمين .. اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه ، وقصر العمر ، ودوام الفقر . وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار** »[2] .

وعنه ﷺ أنه قال : « **من مات مصرًا على شرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة، وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات** »[3] يعني الزانيات يجري من فروجهم قيح وصديد في النار ثم يسقي ذلك لمن مات مصرًا على شرب الخمر . وقال رسول الله ﷺ : « **ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له** »[4] .

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام : « **في جهنم واد فيه حيات كل حية تخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه ، وإ في جهنم واديًا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد** » .

وورد أيضًا أن من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علمه ، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

وورد أيضًا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فإن قبلها قرضت شفتاه في النار ، فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت : أنا للحرام ركبت فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت . وتقول يداه : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه : أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل

---

(١) رواه البيهقي في حديث أبي هريرة قاله المنذري ، ونحوه عند أبي داود ، والترمذي والحاكم . . اهـ . ترغيب وترهيب .

(٢) رواه ابن الجوزي في موضوعاته عن أبي نعيم في الحلية من حديث مسلمة بن علي بن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة به ، ومسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفي مجهول ، وكذا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق ، وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلي . . اهـ من الآليء المصنوعة .

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ونحوه اهـ ترغيب .

(٤) رواه أحمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي نحوًا مما هنا كما في الترغيب للمنذري .

مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت . ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ، ويقول الآخر : وأنا كتبت . ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت ، ثم يقول الله : يا ملائكتي . . خذوه ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني . وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾[1] وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح[2] الحاكم « **من وقع على ذات محرم فاقتلوه** » . وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله .

فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم .

الكبيرة الحادية عشرة :

اللـــواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع من ذلك قوله تعالى : ﴿ **فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل** ﴾[3] أي من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿ **منضود**﴾[4] أي يتلو بعضه بعضًا ﴿**مسومة**﴾[5] أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ﴿**عند ربك**﴾[6] أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ﴿ **وما هي من الظالمين ببعيد** ﴾[7] ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب . ولهذا قال النبي ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط** »[8] ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا فقال : « **لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط** » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** »[9] قال ابن عباس رضي الله عنهما : ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط . وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله لقوله تعالى : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون** ﴾[10] أي مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

---

(١) النور : ٢٤ .
(٢) قال المصنف في الصغرى : والعهدة عليه - أي على الحاكم - في هذا التصحيح .
(٣ ، ٤) هود : ٨٢ .
(٥ ، ٦ ، ٧) هود : ٨٣ .
(٨) رواه ابن ماجة والترمذي وقال : حسن غريب ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . . اهـ منذري .
(٩) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، كلهم من رواية عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ، وعمرو هذا احتج به الشيخان وغيرهما وقال ابن معين : ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا ، اهـ منذري في ترهيبه .
(١٠) الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ .

وقال تعالى في آية أخرى عن نبيه لوط عليه السلام : ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين** ﴾[1] وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه ، وكانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط : تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ، ورمي البندق ، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقعة الأكعب ، وإسبال الإزار ، وحل إزار[2] الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **سحاق النساء بينهن زنا** »[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى** » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر – يعني اللواط** »[4] وروي أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفًا من غضب الله تعالى وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[5] إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل[6] .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به – يعني اللواط – وناكح البهيمة ، وناكح الأم وبنتها ، وناكح يده إلا أن يتوبوا** » . وروي أن قومًا يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا ، كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم ، وروي أن من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد والمسابقة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان . . ويل لمن فعلها . وفي الأثر : من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر . وقال ابن عباس[7] رضي الله عنهما : إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيراً . وقال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكرًا أو امرأة في دبرها** »[8] .

---

(١) الأنبياء : ٧٤ .
(٢) بضم الهمزة وسكون الزاي كذا ضبطه في المنجد وقال : هو معقد الإزار اهـ والمراد هنا – والله أعلم – محل معقد الإزار من الأقبية .
(٣) رواه الطبراني في الكبير له في الجامع الصغير وإسناده لين قاله المصنف في صغراه .
(٤) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي ولا يعرف ، عن أبيه عن أبي هريرة . قال البخاري : لا يتابع على حديثه . اهـ منذري .
(٥) سورة الإخلاص : ١ .
(٦) ذكر السيوطي حديثًا نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة من أبي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه فذكر سندًا إلى أنس قال : وكتب غيره عليه : هذا إسناد واه لين موضوع . اهـ ذيل الآلىء .
(٧) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات مرفوعًا وقال : لا يصح مروان بن محمد يروي المناكير وإسماعيل بن أم درهم لا يحتج به .
(٨) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه .

وقال أبو سعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا لما صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطا ، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه** »[1] ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم . قال الحسن بن ذكوان[2] : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى فهم أشد فتنة من النساء .

وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه ، وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد . وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة ؛ لأن النبي ﷺ قال : « **ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** »[3] وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشك ما لا يتسهل في حق المرأة فهو بالتحريم أولى ، وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر ، وسموهم الأنتان لأنهم مستقذرون شرعاً وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره ، ودخل سفيان الثوري[4] الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : أخرجوه عني أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطاناً . وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الإمام : ما هذا منك ؟ قال : ابن أختي ، قال : لا تجيء به إلينا مرة أخرى ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً .

وروي[5] أن وفد عبد قيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال : إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود بنحو مما هنا .

(٢) الحسن بن ذكوان البصري أبو سلمة يروي عن الحسن وابن سرين .

(٣) ذكره الترمذي وروى نحوه الطبراني من حديث أبي أمامة وأشار المنذري إلى ضعفه وقال غريب . اهـ .

(٤) سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي أحد الأعلام قال الخطيب كان الثوري إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين مجمعاً على إمامته مع الإتقان و الضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ . اهـ خلاصة ملخصاً .

(٥) رواه الديلمي بسنده إلى الحسن عن سمرة به . قال ابن الصلاح في شكل الوسيط : لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع . وقد استدل على بطلانه بقوله ﷺ : إني أراكم من وراء ظهرياً . اهـ ذيل الموضوعات للسيوطي .

والمرء ما دام ذا عين يقلبها   في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر ناظره ما ضر خاطره   لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا وفي الحديث : « النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها يوم القيامة » .

(فصل) في عقوبة من أمكن من نفسه طائعًا :

عن خالد[1] ابن الوليد رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض النواحي رجلاً ينكح في دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر إليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه .

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعًا حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانًا رجيمًا في قبره إلى يوم القيامة . وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم ، ومما روي أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفيء عنه فانقلبت النار صبيًا وانقلب الرجل نارًا ، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يا رب . . ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما ، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله . . إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن مت ومات الصبي صير نارًا يحرقني مرة وأصير نارًا أحرقه مرة ، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة . نعوذ بالله من عذاب الله ونسأل العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها وذلك مما حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ ، قال الله عز وجل : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾[2] أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد ، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية تكذيبًا لهم : ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد . أخرجه مسلم .

وفي رواية : « **اتقوا الدبر والحيضة** » وقوله : في صمام واحد أي : في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث ، أي موضع لزرع الولد وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي بسند جيد (المنذري) .
(٢) البقرة : ٢٢٣ .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ملعون من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها** »[1] . وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد** »[2] فمن جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد وكذا إذا أتى كاهنًا وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصدقه ، وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم، ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالمًا أو متعلمًا أو مستعلمًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك ، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا ويسأل الله العفو والعافية عما مضى منه في جهله والعافية فيما بقي من عمره .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين .

الكبيرة الثانية عشر :

الربـــا

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾[4] أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ **ذلك** ﴾[5] أي ذلك الذي أصابهم ﴿ **بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾[6] أي حلالاً فاستحلوا ما حرم الله فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع كلما قام صرع ، لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون .

وقال قتادة[7] : إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا وذلك علم لأكله الربا يعرفهم به أهل الموقف ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[8] : « **لما**

---

(١) رواه أحمد وأبو داود قاله المنذري .
(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة طريف بن خالد عن أبي هريرة ، وسئل ابن المديني عن حكيم من هو ؟ فقال : أعيانا هذا .
وقال البخاري في تاريخه : لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة . اهـ منذري في ترهيبه . قال المصنف في الصغرى : وليس إسناده بالقائم . اهـ .
(٣) آل عمران : ١٣٠ .
(٤ , ٥ , ٦) البقرة : ٢٧٥ .
(٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري إمام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧ هـ .
(٨) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الإسراء إلى البيهقي في دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد قال : واسم أبي هارون عمارة بن جوين مضعف عند الأئمة اهـ .

أسري بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً ، قال فيقبلون مثل الإبل المنهزمة ، لا يسمعون ولا يعقلون ، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ومدبرين . فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة » ، قال ﷺ : **«فقلت: يا جبريل.. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »** . وفي رواية قال : **« لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا »**(١) .

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : **« إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها »**(٢) . وعن عمر مرفوعًا : **« إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم »**(٣) . وقال ﷺ : **« ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر »**(٤) .

وجاء في حديث فيه طول(٥) : إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا . هذا عذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له ، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا »** .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا ، كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضًا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير، وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل ، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين .

---

(١) رواه أحمد في حديث طويل وابن ماجة مختصرًا والأصبهاني كلهم من رواية علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قاله المنذري . . اهـ . وعلي بن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير في تضعيفه .

(٢) رواه أبو يعلى بإسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده أفاده المنذري في ترهيبه .

(٣) رواه أبو داود وغيره من طريق ابن إسحاق بن أسيد نزيل مصر - مختلف فيه - والحديث من رواية ابن عمر أفاده المنذري .

(٤) رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي والحاكم وقال : على شرط مسلم أفاده المنذري .

(٥) هو حديث سمرة الطويل في منام رآه النبي ﷺ رواه البخاري .

قال أيوب السختياني[1] : يخادعون الله كما يخادعون صبيًا ، ولو أتوا الأمر عيانًا كان أهون عليهم . وقال ﷺ : **« الربا سبعون بابًا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم »**[2] فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : **«الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام »**[3] . وعنه ﷺ قال : **« الربا سبعون حوبًا أهونها كوقع الرجل على أمه »**[4] . وفي رواية : **« أهونها كالذي ينكح أمه »** والحوب : الإثم . وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : الزائد والمستزيد في النار – يعني الآخذ والمعطي فيه سواء – نسأل الله العافية .

(فصل) عن ابن مسعود[5] رضي الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه فإنه ربا .

وقال الحسن[6] رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت ، وهذا من قوله ﷺ : **« كل قرض جر نفعًا فهو ربا »** .

وقال ابن مسعود أيضًا : من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت .

وتصديقه من قوله ﷺ : **« من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»** أخرجه أبو داود .

فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[7] .

---

(١) أيوب بن أبي تميمة السختياني أبو بكر البصري أحد الأئمة الأعلام من أكابر التابعين مات سنة ١٣١ هـ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجة والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق أفاده المنذري .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وأشار المنذري إلى ضعفه بتصديره بلفظ روي .

(٤) قال المنذري : رواه ابن ماجة والبيهقي كلاهما عن أبي معشر وقد وثق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة .

(٥) أبو عبد الرحمن ابن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢هـ.

(٦) هو البصري من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠ هـ .

(٧) زاد في الصغرى : قال النبي ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها أكل الربا . متفق عليه . وقال ﷺ : « لعن الله آكل الربا وموكله» رواه مسلم والترمذي وزاد : «وشاهديه وكاتبه » . وقال ﷺ : « آكل الربا وموكله وكاتبه إذا علما ذلك ملعونون على لسان محمد ﷺ إلى يوم القيامة» .

أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطوهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾[٢] . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث المعراج : « .. **فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم ، فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾** »[٣] رواه مسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يبعث الله عز وجل قومًا من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارًا** » فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾** »[٤] .

وقال السدي[٥] رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه . يعرفه كل من رآه أنه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى : ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف** ﴾[٦] .

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدهما : أنه الأخذ على وجه القرض .

والثاني : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف .

والثالث : أنه أخذ بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملاً .

والرابع : أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو في حل .

وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي[٧] في تفسيره . وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** »[٨] وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وفي

---

(١) النساء : ١٠ .

(٢) الأنعام : ١٥٢ .

(٣) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ﴾ الخ . وفي سورة الإسراء من أولها إلى ابن أبي حاتم وفي سنده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما في التقريب فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم من النساخ فحرر .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده إلى أبي برزة واسمه فضلة بن عبيد الأسلمي فعزوا الحديث هنا إلى أبي هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن أبي كريم السدي بضم السين وشد الدال - أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق يهم ورمي بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ . . اهـ التقريب .

(٦) النساء : ٦ .

(٧) هو الحافظ جمال الدين العربي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي صاحب التصانيف المشهور البغدادي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ.

(٨) رواه أبو داود والترمذي .

صحيح مسلم عنه ﷺ قال : « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة** » وأشار بالسبابة والوسطى . كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى ، وقوله في الحديث : « **له أو لغيره** » أي سواء أكان اليتيم قرابة أو أجنبيًا منه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة . وقال رسول الله ﷺ : « **من ضم يتيمًا من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنبًا لا يغفر** »[1] وقال ﷺ : « **من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة** »[2] . وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني بوصية . قال : ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه فقال رسول الله : « **إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك** »[3] .

ومما **حكي** عن بعض السلف قال : كنت في بداية أمري مكبًا على المعاصي وشرب الخمر فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر ، فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحبًا إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي فإنه قد أحسن إلي وأكرمني فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه ، قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام . ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه - خادم رسول الله ﷺ - : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعًا إلى يتيم أو أرملة . وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : (يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم كما تزرع كذا تحصد) معناه أنه كما تفعل كذلك يفعل معك ، أي لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة . وقال داود عليه السلام في مناجاته : إلهي : ما جزاء من أسند إلى اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ، معناه ظل عرشي يوم القيامة . ومما جاء في فضل الإحسان

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال : حسن صحيح بلفظ : « من قبض» وله شواهد ذكرها المنذري في الترغيب .

(٢) رواه أحمد وغيره من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة . . قاله المنذري .

(٣) رواه الطبري من رواية بقية وفيه راو لم يسم قال المنذري : وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قاله المنذري .

إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم في القوت ، فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت : أنا امرأة علوية ومعي بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم ، فقال لها : أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة . فقالت : أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني ، فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وببناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة ، قال : فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ وإذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت فيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال : يا رسول الله . . لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل مسلم موحد . فقال : يا رسول الله . . أنا رجل مسلم موحد ، فقال رسول الله ﷺ أقم عندي البينة أنك مسلم موحد ، قال : فبقي متحيراً ، فقال له ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية قلت : أقيمي عندي البينة أنك علوية فكذا أقم عندي البينة أنك مسلم . فانتبه الرجل حزينًا على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسي فأرسل إليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها ، فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتها ما لحقني ، قال : خذ مني ألف دينار وسلمهن إلي ، فقال : لا أفعل ، فقال : لابد منهن ، فقال : الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي أتدل علي بالإسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذي رأيت في منامك وقال لي رسول الله : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنًا في الأزل . قال : فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا . ولهذا ثبت في الصحيحين[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله** » قال الراوي : أحسبه قال : « **وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر** » والساعي عليهم هو القائم **بأمورهم ومصالحهم** ابتغاء وجه الله تعالى . وفقنا الله بمنه وكرمه **إنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم** .

---

(١) وابن ماجة من حديث أبي هريرة قاله المنذري .

الكبيرة الرابعة عشرة:

الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله ﷺ

قال الله عز وجل : **﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾**(١) قال الحسن هم الذين يقولون : إن شئنا فعلنا ، وإن شئنا لم نفعل ، قال ابن الجوزي في تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك .

وقال ﷺ : **« من كذب عليّ بني له بيت في جهنم »**(٢) وقال ﷺ : **« من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار »** وقال ﷺ : **« من روى عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »**(٣) .

وقال ﷺ : **« إن كذبًا علي ليس ككذب على غيري ، من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار »**(٤) . وقال ﷺ : **« من يقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار »** وقال ﷺ : **«يطبق المؤمن على كل شئ إلا الخيانة والكذب »**(٥) .

نسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة عشرة:

الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا(٦) إلى فئة وإن بعدت قال الله تعالى : **﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا متحرفًا لقتالٍ أَوْ مُتحيِّزًا إلى فئة فَقَدْ باءَ بغَضَبٍ مِنَ الله ومَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وبئسَ المصيرُ ﴾**(٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« اجتنبوا السبع الموبقات»** قالوا : وما هن يا رسول الله؟ قال : **« الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي**

---

(١) الزمر : ٦٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وقد روي عن غير ما واحد في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر . . اهـ قاله المنذري في ترغيبه .

(٣) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ : « من حدث عني بحديث . . » فذكره . . اهـ المنذري .

(٤) رواه مسلم من حديث المغيرة يعني ابن شعبة ا . هـ المنذري .

(٥) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبي وقاص ورواته رواه الصحيح وذكره الدارقطني في العلل مرفوعًا وموقوفًا . وقال : الموقوف أشبه بالصواب ، ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعًا وله شاهد عند أحمد من حديث الأعمش قال : حدثت عن أبي أمامة . . فذكر نحوه ، أفاده المنذري في ترغيبه .

(٦) المتحرف للقتال من يفر من العدو لخدعة حربية ، والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو فينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم .

(٧) الأنفال : ١٦ .

حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾[2] .

فكتب الله عليهم ألا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[3] .

فكتب ألا يفر مائة من مائتين . رواه البخاري .

الكبيرة السادسة عشر :

غش الإمام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[5] . وقال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[7] . وقال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا »[8] وقال عليه السلام : « الظلم ظلمات يوم القيامة »[9] . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[10] . وقال رسول الله ﷺ : « أيما راع غش رعيته فهو في النار »[11] . وقال ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة » . أخرجه البخاري وفي لفظ[12] : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » . وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فإن قال ألقاه في جهنم أربعين خريفًا » رواه الإمام أحمد[13] .

(١) تقدم تخريجه مرارا وأنه متفق عليه .
(٢) الأنفال : ٦٥ .
(٣) الأنفال : ٦٦ .
(٤) الشورى : ٤٢ .
(٥) إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .
(٦) الشعراء : ٢٢٧ .
(٧) المائدة : ٧٩ .
(٨) رواه مسلم من حديث أبي هريرة .
(٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر .
(١٠) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر .
(١١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات إلا عبد الله بن ميسرة أبا ليلى وشواهده الصحيحة كثيرة عن معقل بن يسار في الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما .
(١٢) يعني للبخاري أيضًا .
(١٣) وروى ابن ماجة والبزار نحوا من هذا في حديث ابن مسعود وفي إسنادهما مجالد ابن سعيد ، مختلف فيه ، أفاده المنذري .

وقال رسول الله ﷺ : « **ويل للأمراء .. ويل للعرفاء .. ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شئ**»[1] . وقال ﷺ : «**ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط** »[2] وقال ﷺ : « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره** »[3] . ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « **اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئًا فرفق بهم فارفق به ومن شفق عليه فاشفق عليه** »[4] وقال ﷺ : « **من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره** »[5] .

وقال ﷺ : « **سيكون أمراء فسقة جورة فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض** »[6] وقال ﷺ : « **صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي : سلطان ظلوم غشوم وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم** » [7] . وقال عليه السلام : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر » [8] وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس . . . مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم ، إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمهم بالبلاء »[9] وقال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[10] . «**ومن أحدث أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً** » . وفي الحديث أيضًا : « **من لا يرحم لا يرحم لا يرحم الله من لا يرحم الناس** »[11] وقال ﷺ : «**الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** »[12] . وقال : « **المقسطون على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا** »[13] .

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا من طرق رواة بعضها ثقات ، قاله المنذري في موضع ، وقال في موضع : رواه ابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٢) رواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجال البزار رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد ، وعن أبي الدرداء عند ابن حبان ، أفاده المنذري .
(٣) رواه أحمد وابن حبان من حديث عائشة . . أ هـ منه .
(٤) رواه مسلم والنسائي عن عائشة .
(٥) رواه أبو داود والترمذي عن أبي مريم عمرو بن مرة الجهني .
(٦) رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي والبزار بألفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة .
(٧) رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ورجاله ثقات . . أ هـ منه .
(٨) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ، ورواته ثقات ، إلا ليث بن سليم . . أ هـ .
(٩) رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث عائشة .
(١٠) رواه الأصبهاني من حديث ابن عمر ، وأشار المنذري إلى ضعفه .
(١١) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث جرير بن عبد الله ، وله شواهد من حديث أبي موسى ، وابن مسعود ، وابن عمرو ، وابن عباس ، وغيرهم ، والسنن ، والمسند ، والطبراني .
(١٢) رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث أبي هريرة في ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله
(١٣) رواه مسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال : « إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » . رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة »** فذكر منهم الملك الكذاب[1] وقال : **«إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة »** رواه البخاري .

وفيه أيضًا : **« وإنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه »** .

وقال رسول الله ﷺ : **« يا كعب بن عجرة .. أعاذك الله من إمارة السفهاء، أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي »**[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **« من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار »**[3] .

وقال : **« ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة »**[4] .

وقال عمر لأبي ذر رضي الله عنه : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« يجاء بالولي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعًا لله في عمله مضى به وإن كان عاصيًا لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عامًا »**[5] ، قال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر؟ قال : من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب .

وقال عمرو بن المهاجر : قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل : ياعمر . . . ما تصنع .

ياراضيًا باسم الظالم . . كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخاصم .

والقبر مهمول فتذكر حبسك والحساب طويل فخلص نفسك .

والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث .

إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة ، فإذا رأيت ظالمًا قد سطا فنم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة ، أي قروح في الجسد .

---

(١) رواه مسلم ، وغيره ، من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه أحمد ، والبزار ، ورواته محتج بهم في الصحيح . وقاله المنذري .

(٣) رواه أبو داود . . أهـ منه .

(٤) تمامه : « فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » رواه البخاري ، والنسائي من حديث أبي هريرة . . المنذري .

(٥) روى نحوه ابن أبي الدنيا ، من حديث أبي هريرة ، أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر ، فذكره ، وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاه . قاله المنذري وضعفه .

الكبـــر

الكبـر : الفخر والخيلاء والعجب والتيه قال الله تعالى : ﴿ **وقالَ موسَى إنِّي عُذْتُ بربي وربِّكُم من كُلِّ مُتَكبِّر لا يُؤمنُ بيوم الحساب** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **إنَّهُ لا يُحبُّ المستَكبِرين** ﴾[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة** »[3] . وقال ﷺ : « **يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان** »[4] .

وقال بعض السلف : أول ذنب عصي الله به الكبر قال الله تعالى : ﴿ **وإذْ قُلنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلا إبْليسَ أبَى واسْتَكْبَرَ وكانَ منَ الكافِرينَ** ﴾[5] . فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس . وعن النبي ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر** » رواه مسلم . وقال تعالى : ﴿ **إن الله لا يحب من كان مختال فخور** ﴾[6] وقال ﷺ : « **قال الله تعالى : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار** » رواه مسلم . المنازعة : المجاذبة . وقال ﷺ : « **اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار : أوثرت بالجبارين والمتكبرين** »[7] الحديث وقال تعالى : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[8] أي لا تمل خدك معرضًا متكبرًا ، والمرح التبختر .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله قال : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، فقال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر ، فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم . وقال ﷺ : « **ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر** »[9] .

العتل : الغليظ الجافي ، والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال في مشيته ، وقيل البطين .

---

(١) غافر : ٢٧ .
(٢) النحل : ٢٣ .
(٣) رواه البخاري والنسائي وغيرهما ، بنحوه من حديث ابن عمر ، وشواهده من حديث أبي سعيد الخدري ، وجابر ، وأبي هريرة ، وأقربها إلى ما هنا لفظ أبي هريرة ، عند البخاري ومسلم كما في المنذري .
(٤) تمامه : « يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » رواه النسائي والترمذي من حديث عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص . . أ هـ منه .
(٥) البقرة : ٣٤ .
(٦) لقمان : ١٨ .
(٧) تمامه : « فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري . . أ هـ .
(٨) لقمان : ١٣ .
(٩) رواه البخاري ومسلم ، من حديث حارثة عن وهب . . أ هـ منذري .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل يختال في مشيته ويتعاظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان** »[1] .

وصح من حديث أبي هريرة : « **أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط ـ أي ظالم ـ وغني لا يؤدي الزكاة وفقير فخور** »[2] وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » . والمسبل : هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدمه لأنه ﷺ قال : « **ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار** »[3] .

وأشر الكبر : الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته . فإن هذا لم ينفعه علمه فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها . فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر . ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . **ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** .

الكبيرة الثامنة عشرة :

شهادة الزور

قال الله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾[4] الآية . . وفي الأثر : «**عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين** »[5] . وقال تعالى : ﴿ **واجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[6] وفي الحديث : « **لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار** »[7] . قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم .

أحدها : الكذب والافتراء قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾[8] وفي الحديث : « **يطبع المؤمن على كل شئ ليس الخيانة والكذب** »[9] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، ورواته محتج بهم في الصحيح ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم . . أ هـ منه .
(٢) رواه ابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما . . أ هـ منه .
(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة . . أ هـ منذري .
(٤) الفرقان : ٧٢ .
(٥) هذا الحديث من رواية حزيم بن فاتك ، مرفوعا فذكره قال : ثم قرأ ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ﴾ [الحج : ٣٠ ، ٣١] رواه أبو داود ، وهذا لفظه والترمذي وابن ماجة ، ورواه الطبراني في الكبير موقوفا على ابن مسعود بإسناد حسن . . أ هـ منذري .
(٦) الحج : ٣٠ .
(٧) رواه ابن ماجة ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد من حديث ابن عمر بلفظ : «لن تزول . . »الخ .
(٨) غافر : ٢٨ .
(٩) تقدم في الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه .

وثانيها : أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته : ماله وعرضه وروحه .

وثالثها : أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار وقال ﷺ : **«من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»**[1].

ورابعها : أنه أباح ماحرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض . قال رسول الله ﷺ : **« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت** » رواه البخاري[2] فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

الكبيرة التاسعة عشرة :

شرب الخمر

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾[3]

فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها وقال النبي ﷺ : **«اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله »**[4] . قال الله تعالى : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** ﴾[5] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك »[6] .

وذهب [7] عبد الله بن عمر إلى أن الخمر أكبر الكبائر وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث[8] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة »**[9] رواه مسلم .

(١) متفق عليه ، من حديث أم سلمة ، ونحوه في أبي داود . . أ هـ مشكاة .

(٢) ومسلم والترمذي من حديث أبي بكر . . أ هـ منه .

(٣) المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

(٤) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ : « فإنها مفتاح كل شر » ، وقال : صحيح الإسناد ، وفي حديث عثمان مرفوعًا : « اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم . . » الخ ، فذكر القصة . رواه ابن حبان والبيهقي مرفوعا وموقوفا وذكر أنه المحفوظ . . أ هـ منذري .

(٥) النساء : ١٤ .

(٦) رواه الطبراني ، وقال : رجاله رجال الصحيح . . أ هـ منذري .

(٧) رواه الطبراني ، مع قصة بإسناد صحيح ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم . . أهـ منه .

(٨) من حديث ابن عمر ، عن أبي داود ، وابن ماجة ، من حديث أنس ، عن ابن ماجة ، والترمذي ، وحديث ابن عباس ، عن أبي داود ، وأحمد ، وابن حبان ، والحاكم .

(٩) رواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والبيهقي .

وروى مسلم[1] عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال** » قيل : يا رسول الله . . وما طينة الخبال ؟ قال : « **عرق أهل النار أو عصارة أهل النار** » . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة** » .

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن :

رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مدمن الخمر كعابد وثن** » .

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة :

روى النسائي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر** »[2] وفي رواية : « **ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن خمر والعاق لوالديه والديوث** » وهو الذي يقر السوء في أهله .

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة :

روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو** »[3] . والخمر : ما خامر العقل أي غطاه سواء أكان رطبًا أو يابسًا أو مأكولاً أو مشروبًا ، وعن أبي سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ « **لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام في جسده شئ منها** »[4] .

وفي رواية : « **من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئًا ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب ثم عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من مهل جهنم** » .

وقال رسول الله ﷺ : « **من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً أربعين ليلة فإن مات فيها مات كعابد وثن وكان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال : قيل : يا رسول الله ..وما طينة الخبال؟ قال عصارة أهل النار : القيح والدم** »[5] . وقال عبد الله بن أبي أوفى : من مات مدمنًا للخمر مات كعابد اللات والعزى ، قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها؟ قال : لا . . ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لايكون مؤمنا حين يشربها :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « **لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني**

---

(١) والنسائي .
(٢) رواه أحمد والبزار ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .
(٣) رواه ابن خزيمة ، وابن حبان ، والطبراني في الأوسط . . أ هـ منه .
(٤) ذكره في اللآليء المصنوعة ، عن عبد بن حميد ، بسنده إلى أبي سعيد الخدري .
(٥) روي بألفاظ نحو مما هنا ، أقربها حديث عبد الله بن عمر ، عند الترمذي ، وحسنه الحاكم والنسائي ، ووقفه عليه مختصراً ، أفاده المنذري .

الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد » أخرجه البخاري [1] . وفي الحديث : « **من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه** »[2] . وفيه : « **من شرب الخمر ممسيًا أصبح مشركًا ومن يشربها مصبحًا أمسى مشركًا** » وفيه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن** »[3] .

وروى الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغرطة وهو ماء يجري من فروج المومسات ـ أي الزانيات ـ يؤذي أهل النار ريح فروجهن** »[4] .

وقال رسول الله ﷺ : « **إن الله بعثني رحمة وهدى للعالمين بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم ربي تعالى بعزته : لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء** » [5] .

ذكر من لعن في الخمر : روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « **لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها** »[6] . ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد .. إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها** »[7] .

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا . قال البخاري : وقال ابن عمر . لا تسلموا على شربة الخمر .

وقال ﷺ : « **ولا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ، وإن شارب الخمر يجئ يوم القيامة مسودًا وجهه مدلعًا لسانه على صدره يسيل لعابه ، يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر** »[8] .

---

(1) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وقوله : « والتوبة معروضة بعد» من زيادة مسلم وأبي داود ، أفاده المنذري .

(2) رواه الحاكم ، من حديث أبي هريرة . . أ هـ منه .

(3) رواه الطبراني في الصغير ، من حديث أبي هريرة ، وأشار المنذري إلى ضعفه . . أ هـ منه .

(4) رواه أبو ليلى ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه . . أ هـ منه .

(5) رواه أحمد ، من حديث أبي أمامة ، من طريق علي بن يزيد ، يعني الألهاني فيه خلاف ، والأكثر على تضعيفه . . أ هـ منه .

(6) رواه من حديث ابن عمر بلفظ : « لعن الله الخمر . . » الخ ، ولفظ : « وآكل ثمنها» ، من زيادة ابن ماجة ، وشاهده من حديث أنس عند الترمذي ، وابن ماجة ، كما في المنذري .

(7) أي بسند صحيح ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح . . أ هـ منه .

(8) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، عن ابن عدي ، بسنده إلى ابن عمر ، وقال : موضوع في ضعفاء ليث وجعفر الحارث أبو الأشهب وأبو مطيع ، وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض .

قال بعض العلماء : إنما نهي عن عيادتهم والسلام عليهم ؛ لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله : **« لعن الله الخمر وشاربها »** الحديث . .

فإن اشتراها وعصرها كان ملعونًا مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعونًا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز فدخل علي رسول الله ﷺ وهو يغلي فقال : **« ما هذا يا أم سلمة »** ؟ فذكرت له أني أداوي به ابنتي فقال رسول الله ﷺ : **« إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها »**[1] .

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر :

من ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أتي النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشبش فقال : **« اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر »** . وقال رسول الله ﷺ : **« من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجئ يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة»** . وجاء عن النبي ﷺ : **« ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر : يا فلان .. لا جزاك الله عني خيرًا فأنت الذي أوردتني هذا المورد ، ويقول الآخر مثل ذلك »** وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **« من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجًا حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقًا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام »** .

ويدخل في قوله ﷺ : **« كل مسكر خمر »** : الحشيشة كما سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى . روي أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها . نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف في الخمر :

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عن قبره فإن لم تروا وجهه مصروفًا عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوبًا .

وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة

---

(١) رواه البيهقي ، وأبو يعلى ، وشاهده عن ابن مسعود ، عن أحمد ، والحاكم ، وعلقمة ، والبخاري عن ابن مسعود بصيغة الذم .

ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال : لا أقولها وأنا بريء منها ثم مات ، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار فقال له : يا مسكين . . بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال : يا أستاذ . . كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي : تشرب في كل سنة قدحًا من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت أشربها في كل سنة لأجل التداوي . فهذا حال من يشربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء . وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة .

وقال بعض الصالحين : مات لي ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه فقلت : يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟ فقال : يا أبت دفن إلى جنبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها . نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة . فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى في النار . نعوذ بالله منها .

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر . وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقد والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد ، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلامًا ، وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها ، ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك ، لكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شرابًا تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره ، فقيل : هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح ، وقيل : لا . . لجمودها ، وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظًا ومعنى ، قال أبو موسى : يا رسول الله . . أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ حتى يشتد و «المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد؟ قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال ﷺ : **« كل مسكر حرام »** رواه مسلم . وقال ﷺ : **« ما أسكر كثيره فقليله حرام »** ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروبًا على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبزا وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وإنما لم

يذكرها العلماء ؛ لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل في وصفها شعر :

فآكلها وزارعها حــلالا   فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة ؛ لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً   عشت في أكلها بأقبح عيشة

قيمة المرء جوهر فلمــاذا   يا أخا الجهل بعته بحشيشة

(**حكاية**) عن عبد الملك بن مروان أن شابًا جاء إليه باكيًا حزينًا فقال : يا أمير المؤمنين . . إني ارتكبت ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبة ؟ قال وما ذنبك؟ قال : ذنبي عظيم، قال : وما هو؟ . . فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . . قال: يا أمير المؤمنين . . كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورًا عجيبة قال : وما رأيت ؟ قال : يا أمير المؤمنين . . نبشت ليلة قبرًا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت : لماذا حول؟ قال : لأنه كان مستخفًا بالصلاة هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبرًا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرًا وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي : ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب؟ فقلت : لماذا؟ فقال : كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة . والثالث يا أمير المؤمنين . . نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلي؟ فقلت : لماذا؟ فقال : كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله .

والرابع يا أمير المؤمنين . . نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارًا فخفت وأردت الخروج فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت : وما حاله؟ فقال : كان تاركًا للصلاة .

والخامس يا أمير المؤمنين . . نبشت قبرًا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبة وأردت الخروج فقيل لي : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة؟ فقلت : لماذا أكرم؟ فقيل لي : لأنه كان شابًا طائعًا نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته .

فقال عبد الملك عند ذلك : إن هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين .

فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة .

جعلنا الله وإياكم من الطائعين وجنبنا أفعال الفاسقين إنه جواد كريم .

القمار

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أيُّها الَّذينَ آمنُوا إنَّما الخَمْرُ والمَيْسرُ والأنصَابُ والأزْلامُ رِجسٌ مِنْ عمل الشَّيطان فَاجتَنِبوهُ لعلَّكُم تُفلحُون * إنَّما يُريدُ الشَّيطانُ أن يُوقعَ بينكُم العَداوَةَ والبغضَاءَ في الخمر والمَيْسر ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذكْرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ فَهَلْ أنتُمْ مُنتَهُونَ** ﴾[1] .

والميسر هو القمار بأي نوع : كان نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله : ﴿ **ولا تَأكُلوا أموالَكُمْ بَيْنَكُم بالبَاطِلِ** ﴾[2] .

وداخل في قول النبي ﷺ : « **إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»[3] . وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق** » فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل .

(فصل) اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه** » أخرجه مسلم . وقال ﷺ : « **من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله** »[4] وقال ابن عمر رضي الله عنهما : اللعب بالنرد قمار كأكل لحم الخنزير واللعب بها بغير قمار كالدهن بودك الخنزير . قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره ، أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضًا قمار حرام عند أكثر العلماء . وحكى إباحته في رواية عن الشافعي إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها . وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج : أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضًا رحمه الله عن لعب الشطرنج : هل يجوز أم لا وهل يأثم اللاعب بها أم لا؟ أجاب رحمه الله : إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام وإلا فمكروه عند الشافعي وحرام عند غيره ، وهذا كلام النووي في فتاويه . والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قول الله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾[5] إلى قوله : ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾[6] قال سفيان ووكيع ابن الجراح : هي الشطرنج . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم ، ومر رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفى خير له من أن يمسها ، ثم قال : والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضًا رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول أحدهم :

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ .
(٢) البقرة : ١١٨ .
(٣) رواه البخاري ، كما قاله المؤلف في الرسالة الصغرى .
(٤) رواه مالك ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والحاكم، والبيهقي ، قال الحاكم : صحيح على شرطهما .
(٥ ، ٦) المائدة : ٣ .

قتلت وما قتل ومات وما مات . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : لا يلعب بالشطرنج إلا خاطئ وقيل لإسحاق بن راهويه : أترى في اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال : البأس كله فيه ، فقيل له إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور .

وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال : أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة ـ أو قال : يحشر يوم القيامة ـ مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج فقال : هي أشر من النرد . وتقدم الكلام على تحريمه ، وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من النرد . . بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالاً ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ولكن لما كان اللعب بها حرامًا أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه .

وقيل لإبراهيم النخعي : ما تقول في اللعب بالشطرنج؟ فقال : إنها ملعونة .

وروى أبو بكر الأثرم[1] في جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : **«إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيه نصيب ـ يعني لاعب الشطرنج ـ لأنه يقول شاه مات »** . وروى أبو بكر الآجري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات »** .

وروي عنه ﷺ أنه قال : **« أشد الناس عذابًا يوم القيامة صاحب الشاه ـ يعني صاحب الشطرنج ـ ألا تراه يقول : قتلته ، والله ما مات .. والله افترى وكذب على الله »**[2] .

وقال مجاهد : ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فقال : شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب فقال عوض كلمة الإخلاص شاهك . وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له : اشرب واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهذا كما جاء في حديث مروي : **« يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه »**[3] . **فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين إنه جواد كريم .**

---

(١) أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم البغدادي صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .

(٢) قاله المنذري في الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها إسناداً صحيحاً ولا حسناً . . والله أعلم .

(٣) روى مسلم بلفظ آخر : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » ، وذكره في أسنى المطالب .

قذف المحصنات

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذين يَرْمُونَ المُحْصَنَات الغَافِلات المُؤمنَات لُعنوا في الدُّنيا والآخرة ولَهُم عذَابٌ عظيمٌ * يومَ تَشهَدُ عَليهمْ ألسنتهم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانُوا يعْمَلون﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ والَّذين يَرْمُونَ المحصنَات ثمَّ لمْ يأتُوا بأربعة شُهَدَاء فَاجْلدُوهُمْ ثمانينَ جَلْدَةً ولا تَقبَلوا لهمْ شَهادَةً أبدًا وأولئك هُم الفَاسِقُونَ ﴾(٢) .

بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلاً . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات . والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة ، أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ولد القحبة ، أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة ، فإن القحبة عبارة عن الزانية فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زاني أو قال لصبي حر : يا علق أو يا منكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك والبينة كما قال الله أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذلك الرجل ، فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه وكذلك مملوكه أوجاريته بأن قال لمملوكه : يا زاني أو لجارته : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « **من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الرجل ليتكلم الكلمة ما يتبين فيها يزل**(٣) **بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** » فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله . . . وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال : « **ثكلتك أمك**(٤) **يا معاذ ... وهل يكب الناس في النار علي وجوههم إلا حصائد ألسنتهم** » .

وفي الحديث : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »(٥) وقال تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ ما يَلْفِظُ من قَولٍ إلا لدَيْه رقيبٌ عَتيدٌ﴾(٦) وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله . . ما النجاة؟ قال : « **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك**

---

(١) النور : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) النور : ٤ .
(٣) يزل : أي يهوي ، من الزلل بالزاي . .
(٤) أي فقدتك ، ولا يقصد معناها ، وإنما يجري على لسانهم عفواً .
(٥) رواه البخاري ومسلم في ضمن حديث إكرام الضيف والنهي عن أذى الجار . . من المنذري .
(٦) سورة ق : ١٨ .

على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسي »[1] . وقال ﷺ : « **إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذيء الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام** »[2] وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم[3] .

الكبيرة الثانية والعشرون :

الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ لا يُحبُّ الخَائنين** ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ **ومَا كانَ لنَبي أن يَغُل ومَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بمَا غَلَّ يَومَ القيامَة** ﴾[5] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال : « **لا ألفين[6] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[7] يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[8] فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ، ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[9] يقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ، ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ، ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك** » أخرج هذا الحديث مسلم[10] قوله : على رقبته رقاع تخفق : أي ثياب وقماش . قوله : علي رقبته صامت : أي من ذهب أو فضة فمن أخذ شيئًا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال وبغير إذن الإمام ، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، وابن أبي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة عنه .

(٢) في معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا : « إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » ، رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها ، والحاكم وصححه ، وكذلك حديثه : « الجنة حرام كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم ، وحديث ابن مسعود مرفوعاً : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء » رواه الترمذي بإسناد صحيح ، أفاده العراقي .

(٣) فائدة : قال المؤلف في الصغرى : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء ، فهو كافر مكذب للقرآن ، فيقتل كفراً .

(٤) الأنفال : ٥٨ .

(٥) آل عمران : ١٦١ .

(٦) أي لا أجدن .

(٧) الرغاء : صوت البعير .

(٨) الحمحمة : صوت الفرس .

(٩) الثغاء : صوت الشاة .

(١٠) يعني بهذا اللفظ ، وإلا فقد عزاه في الترغيب للبخاري أيضا ، وقال : واللفظ لمسلم .

تعالى في القرآن : **﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾** [1] . ولقول النبي ﷺ : **« أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة »** . ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدي إلي ، فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : **« والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر »** ثم رفع يديه ﷺ فقال : **« اللهم هل بلغت »**[2] . وعن أبي هريرة[3] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى : رفاعة بن يزيد من بني الضبيب) فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمي بسهم كان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئًا له بالشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : **« كلا .. والذي نفسي بيده .. إن الشملة لتلتهب عليه نارًا ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم »** قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين ، فقال : أصبت يوم خيبر . فقال رسول الله ﷺ **«شراك أو شراكان من نار »** متفق عليه [4] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة ، فمات فقال النبي ﷺ : **« هو في النار »** فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها [5] . وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه وقال : **« إن صاحبكم غل في سبيل الله »** قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزًا من خرز اليهود ما يساوي درهمين . قال الإمام أحمد رحمه الله : ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد إلا الغال وقاتل نفسه ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **« هدايا العمال غلول »**[6] . وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام : **أحدها** أكل المال بالباطل ، **وثانيها** ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح ، **وثالثها** ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف ، وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال : **« ألا إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »** متفق عليه . وقال ﷺ : **« لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول »**[7] . **فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .**

---

(١) آل عمران : ١٦١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ، من حديث أبي حميد الساعدي ، الخوار : صوت البقر ، واليعار : صوت الغنم . . أ هـ المنذري .

(٣) كذا رواه أبو داود ، والنسائي والزيادات بين قوسين أثناء الحديث في لفظ الحديث ، في الترغيب والترهيب ، لم تكن في الأصل ، وقد كان فيه بين لفظي : ذهبا وورقا ، كلمة فضة حذفناها لعدم وجودها في لفظ الحديث في الترغيب ، ولأنها تكرار لفظ ورقا ، والشملة كما قال المنذري : كساء أصفر من القطيفة يتشح به .

(٤) رواه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، بنحو مما هنا ، كما قال المنذري .

(٥) رواه البخاري ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان في الأصل ابن عمر غلطا فصححناه (عمرو) والثقل محركة الغنيمة ، وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما ، أفاده المنذري .

(٦) رواه أحمد ، وابن ماجة ، من حديث أبي حميد الساعدي ، وله شواهد من حديث حذيفة ، وابن عباس ، وجابر ، أفاده في كشف الخفاء .

(٧) رواه مسلم ، من حديث ابن عمر . . أ هـ المشكاة .

السرقــة

قال الله تعالى : ﴿ **والسَّارقُ والسـارقَةُ فاقطعوا أيْديهُما جَزاءً بما كَسَبا نَكَالاً منَ اللهِ واللهُ عَزيزٌ حكيمٌ** ﴾[١] . قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس والله عزيز في انتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع اليد . وقال ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسـرق وهو مـؤمن ولكن التـوبة معروضة**»[٢] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم [٣] . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا [٤] . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : «**لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن**»[٥] . قيل لعائشة رضي الله عنها وما ثمن المجن؟ قالت ربع دينار . وفي رواية قال : « **اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك** »[٦] وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم ، الدينار اثنى عشر درهمًا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله السارق الذي يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده** »[٧] .

قال الأعمش : كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوي ثمنه ثلاثة دراهم . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده .

فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها ، فكلم النبي ﷺ .

فقال له النبي ﷺ : « **يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى** » .

ثم قام النبي ﷺ خطيبًا فقال : « **إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذي نفسه بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** »[٨] . فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن بن جرير[٩] قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه : أمن السنة؟ قال أتى النبي ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه .

قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه فإن كان مفلسًا تحلل من صاحب المال . والله أعلم .

---

(١) المائدة : ٣٨ .
(٢) تقدم عزوه فيما تقدم في الكبيرة العاشرة .
(٣) متفق عليه ، كما في المشكاة ، وبلوغ المرام .
(٤) متفق عليه .
(٥) هي لفظ مسلم ، كما في بلوغ المرام .
(٦) لفظ رواية أحمد . . أهـ منه .
(٧) متفق عليه ، كما في المشكاة .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، كذا في المشكاة .

قطع الطريق

قال الله تعالى : ﴿ **إنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولهُ ويَسْعَونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطعَ أيديهِمْ وأرجُلُهم من خِلافٍ أو يُنفَوا منَ الأرضِ ذلكَ لهم خزيٌ في الدُّنيا ولَهُم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ** ﴾[1] . قال الواحدي[2] رحمه الله : معنى ﴿ **يحاربون الله ورسوله** ﴾ يعصونهما ولا يطيعونهما ، كل من عصاك فهو محارب لك ، ﴿ **يسعون في الأرض فسادًا** ﴾ : أي بالقتل والسرقة أخذ الأموال وكل من وأخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله . وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي . قوله تعالى : ﴿ **أن يقتلوا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾.

قال الوالبي [3] عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أو » أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى : وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد ، وقال في رواية عطية [4]: « أو » ليست للإباحة إنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفي من الأرض ، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقال الشافعي أيضًا : يحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثًا ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فإن عاد وسرق ثانيًا قطعت رجله اليسرى ، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى لما روى عن النبي ﷺ قال في السارق : « **إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ثم إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله** »[5] ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله :

---

(١) المائدة : ٣٣ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثوية بفتح الميم ، وتشديد التاء المثناة ، صاحب التفاسير المشهورة « البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، وأسباب نزول القرآن ، والتحبير في شرح أسماء الله الحسنى » ، وشرح ديوان أبي الطيب المتنبي شرحا مستوفيا ليس في شروحه على كثرتها مثله ، وذكر فيه أشياء غريبة ، وكان الواحدي تلميذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر ، وعنه أخذ علم التفسير ، وأربى عليه ، توفي سنة ٤٦٨ هجرية في جمادى الآخر . . أهـ ، من ابن خلكان .

(٣) يعني علي بن أبي طلحة الوالبي ، رواية تفسير ابن عباس ، وإن كان في سماعه منه كلام ، راجع ترجمته في الميزان للذهبي .

(٤) يعني ابن سعد العوفي مختلف في توثيقه ، صدوق يخطىء كثيرا ، وكان يدلس ، أفاده في التقريب .

(٥) رواه أبو داود ، والنسائي ، من حديث جابر ، واستنكره ، وأخرجه من حديث الحارث أبي حاطب نحوه ، وذكر الشافعي : أن القتل في الخامسة منسوخ . . أهـ ، بلوغ المرام .

﴿من خلاف﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ . قال ابن عباس : هو أن يهدر الإمام دمه فيقول : من لقيه فليقتله ، هذا فيمن لم يقدر عليه فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن ، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفي منها . أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرًا :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك .

نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم غفور رحيم .

الكبيرة الخامسة والعشرون :

اليمين الغموس

قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ يَشترُونَ بعهد الله وأيْمَانهم ثمنًا قليلا أولئكَ لا خلاقَ لهم في الآخرة ولا يُكلِّمُهُمُ اللهُ ولا يَنظُرُ إليهم يَوْمَ القيامة ولا يُزكيهمْ ولهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ (1) .

قال الواحدي(2) : نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة ، فهم المدعى عليه أن يحلف فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عن اليمين وأقر بحقه .

وعن عبيد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان** »(3) . فقال الأشعث : في والله نزلت ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال : « **ألك بينة؟** » فقلت : لا . . . . . قال لليهودي : « احلف » قلت : يا رسول الله . . إنه إذن يحلف فيذهب بمالي . فأنزل الله تعالى : ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً**﴾ أي عرضًا يسيرًا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين :

﴿ **أولئك لا خلاق لهم في الآخرة** ﴾ أي لا نصيب لهم في الآخرة . ﴿ **ولا يكلمهم الله** ﴾ أي بكلام يسرهم . ﴿ **ولاينظر إليهم** ﴾ نظرًا يسرهم بعيني الرحمة . ﴿**ولا يزكيهم**﴾ ولا يزيدهم خيرًا ولايثني عليهم . وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان** » . قال عبد الله : ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً** ﴾ إلى آخر الآية ، أخرجاه في الصحيحين .

---

(1) آل عمران : ٧٧ .

(2) تقدمت ترجمته قريبا .

(3) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة مختصرا . . . أ هـ ، وتفسير الآية في آخر الحديث من صنيع المؤلف .

وعن أبي أمامة قال ك كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال الرجل : وإن كان يسيرًا يا رسول الله؟ قال : « **وإن كان قضيبًا من أراك** » أخرجه مسلم [1] في صحيحه . قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال أليس في كتاب الله تعالى : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً** ﴾[2] . . الآية .

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** » فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله . . من هم؟ قال : « **المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكذاب** »[3] .

وقال ﷺ : « **الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس** » أخرجه البخاري [4] في صحيحه . الغموس : هي التي يتعمد الكذب فيها سميت غموسًا ؛ لأنها تغمس الحلف في الإثم . وقيل : في النار [5] .

(**فصل**) ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة وهي من أشد ما هنا والروح والرأس وحياة السلطان وتربة فلان .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت** »[6] . وفي رواية في الصحيح : « **فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت** » . وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم** » رواه مسلم [7] . والطواغيت جمع طاغية وهي الأصنام ومنه الحديث : « **هذه طاغية دوس**» أي صنمهم ومعبودهم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف بالأمانة فليس منا** » رواه أبو داود وغيره . وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من حلف فقال : إني بريءٌ من الإسلام فإن كان كاذبًا فهو كما قال ، وإن كان صادقًا فلن يرجع إليه سالمًا**»[8] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول : والكعبة . . . فقال : تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » رواه

---

(١) رواه النسائي ، وابن ماجة ، ومالك ، وكلهم من حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي . . أ هـ منذري .

(٢) آل عمران : ٧٧ .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة .

(٤) رواه الترمذي ، والنسائي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد تقدم مراراً .

(٥) عبارة المنذري : تغمس الحالف بها بالإثم في الدنيا ، وفي النار في الآخرة ، وهي أحسن مما هنا : من جعلهما قولين فيها .

(٦) رواه مالك ، والبخاري ، وأبو ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، قال المنذري .

(٧) كان في الأصل أبو عبد الرحمن ، وهو غلط ، وإنما هو عبد الرحمن بن سمرة بن أبي حبيب ، من مسلمة الفتح ، افتتح سجستان ، روى له الستة ، سكن البصرة ، مات بعد سنة ٥٠ هـ ، أفاده في التقريب .

(٨) أي عن بريدة ، رواه أبو داود ، وابن ماجة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . . أ هـ منه .

الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهم[1] .

وقال : وفسر بعض العلماء قوله : كفر أو شرك على التغليظ كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « **الرياء شرك** » . وقال ﷺ : « **من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى .. فليقل : لا إليه إلا الله** »[2] وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلي الحلف بها فأمره ﷺ أن يبادر بقوله : لا إله إلا الله ليكفر بذلك ماسبق إلى لسانه . **وبالله التوفيق** .

الكبيرة السادسة والعشرون :

الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء .

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تحسبنّ اللهَ غافلاً عما يَعْمَلُ الظّالمُونَ . إنّما يؤخرهُم ليَوم تَشْخَصُ فيه الأبصارُ . مُهْطعينَ مُقْنعي رُءوسهم لا يرتدُّ إليهم طَرفُهُمْ وأفئدتُهُم هَواءٌ . وأَنْذر النّاسَ يَوْمَ يَأتيهمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الَّذينَ ظَلَمُوا رَبّنا أخرْنَا إلى أجَلٍ قَريب نُجب دَعْوَتَكَ وَنَتَّبع الرُسُلَ أولَمْ تكُونُوا أقْسَمتُم مِن قَبْلُ مَا لكُم مِن زَوَال . وَسَكَنْتُم في مَسَاكن الَّذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُم وتَبَيّنَ لكُم كَيفَ فَعَلنَا بِهِم وضَرَبْنا لكُم الأمثَالَ** ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ **إنّمَا السَّبيلُ على الّذينَ يَظلمونَ النّاسَ** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وسَيَعْلَمُ الّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَب يَنقَلِبُونَ ﴾[5] . وقال ﷺ : « **إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** »[6] ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **وكذلك أخذُ رَبّكَ إذَا أخَذَ القُرَى وهيَ ظَالمَةٌ إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَديدٌ** ﴾[7] .

وقال ﷺ : « **من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شئ فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** »[8] . وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **يا عبادي .. إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** »[9] .

وقال رسول الله ﷺ : « **أتدرون من المفلس؟** » قالوا : بلى يا رسول الله .. المفلس

---

(1) وسكت على ذلك المنذري في ترغيبه ، لكن قال المصنف في الصغرى : إسناده على شرط مسلم ، وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعي ، عن سعد بن عبيدة .
(2) قال في الصغري : متفق عليه ، يعني رواه البخاري ومسلم .
(3) إبراهيم : ٤٢ـ ٤٥ .
(4) الشورى : ٤٢ .
(5) الشعراء : ٢٢٧ .
(6) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث أبي موسى الأشعري ، قاله المنذري .
(7) هود : ١٠٢ .
(8) رواه البخاري ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة .. أهـ منذري .
(9) رواه مسلم ، والترمذي ، وهو من حديث أبي ذر الطويل .

فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيأتي وقد شتم هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار** »[1] . وهذه الأحاديث كلها في الصحاح[2] وتقدم حديث : « **أن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** » وتقدم قوله[3] لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** »[4] . وفي الصحيح : « **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة** » . وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : « **اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري** » وأنشد بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الحبارى لتموت في وكرها هزالاً من ظلم الظالم .

وقيل : مكتوب في التوراة : ينادي مناد من وراء الجسر - يعني الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة . . ويا معشر المترفين الأشقياء . . إن الله حلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . وعن جابر[5] قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال : « **ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة** » فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله . . . بينما نحن يوماً جلوساً إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غداً . فقال رسول الله ﷺ : « **صدقت .. كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم** » .

إذا المظلوم استوطأ الظلم مركباً ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **خمسة غضب الله عليهم ، وإن شاء أمضى عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار : أمير قوي يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه**

---

(١) رواه مسلم ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة .
(٢) تقدم في القمار رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، من حديث طويل ، عن ابن عباس .
(٤) رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث عائشة ، وشواهده كثيرة ، كما في المنذري .
(٥) عزا المرفوع منه في الجامع الصغير إلى ابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، وصححه ، وذكر شاهداً له من حديث بريدة عند أبي يعلي والبيهقي ، وعلم عليه بالصحة أيضاً .

ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ، ورجل ظلم امرأة صداقها » . وعن عبد الله بن سلام قال : إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى السماء وقالوا : يارب . مع من أنت؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه . وعن وهب ابن منبه قال : بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوي إليه فركب الجبار يومًا وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال : لمن هذا؟ فقيل : لامرأة فقيرة تأوي فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت : من هدمه؟ . فقيل : الملك رآه فهدمه . فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت : يارب . . إذ لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال : فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل : لما حبس خالد بن برمك وولده قال : ياأبت بعد العز صرنا في القيد والحبس ، فقال : يا بني . . . دعوة المظلوم سرت بليل . غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحد قط هيبتي رجلاً ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي : حسبي الله ، الله بيني وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرًا :

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو المظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غداً عند المليك من الملوم

وعن أبي أمامة قال : « يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلموا بالذين ظَلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار »[1] . وعن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهمًا فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان .. لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه ، حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً** » . قلنا : يا رسول الله . . كيف وإنما نأتي حفاة عراة فقال : « **بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً** »[2] . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **من ضرب سوطًا ظلمًا اقتص منه يوم القيامة** »[3] . ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبًا لولده يعلمه ويؤدبه

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، من حديث أبي أمامة مرفوعا ، ورواته مختلف في توثيقهم ، قاله المنذري .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن ، قاله المنذري ، وعزاه ابن القيم في صواعقه إلى أبي يعلى الموصلي في مسنده ، والبخاري في الأدب المفرد ، والضياء في المختارة ، والطبراني في المعجم ، والستة ، وغيرهم ، وحسن إسناده ، وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس ، فذكره ، وعلقه البخاري في أول صحيحه مجزوما به ، وفي آخره بلفظ : ويذكر عن جابر . الخ .

(٣) رواه البزار ، والطبراني بإسناد حسن ، من حديث أبي هريرة قاله المنذري .

حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يومًا وضربه ضربًا شديدًا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : وما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربًا وجيعًا من غير جرم ولا سبب فقال المعلم : اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدًا . فقال : جزاك الله خيرًا ثم أمر له بجائزة وصرفه . ومن الظلم أخذ مال اليتيم وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ : « **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** »[1] . وفي رواية : « **إن دعاء المظلوم رفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي .. لأنصرنك ولو بعد حين** »[2] . وأنشد شعرًا :

توق دعـــا المظلـوم إن دعـــاءه ليـــرفع فـــوق الســـحب ثم يجـاب
توق دعـــا من ليس بين دعـــائه وبـين إلـــه العـــالمـــين حـــجـاب
ولا تحـــسبن الله مطرحـــًا له ولا أنـــــه يخـفى عليـــه خطـــاب
فـقـد صح أن الله قـــال وعــزتي لأنصـــــر المظـــلوم وهـو مـثـاب
فـمن لم يصـدق ذا الحـديث فـإنه جـهــــول وإلا عـقـله فـمـصـاب

(فصل) ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **مطل الغني ظلم** » .وفي رواية : « **لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته** » أي يحل شكايته وحبسه .

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله ﷺ : « **لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته** » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادي به على رءوس الخلائق : هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه : قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** ﴾[3] قال : فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا إلي حقوقكم . قال : فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته فإن كان وليًا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدًا شقيًا ولم يفضل له شئ فتقول الملائكة : ربنا . . فنيت حسناته وبقي طالبوه ، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صك له صكًا إلى النار .

---

(١) تقدم قريبا أنه رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث ابن عباس .
(٢) رواه أحمد في حديث لأبي هريرة ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجة ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، قاله المنذري .
(٣) المؤمنون : ١٠١ .

ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ : « **أتدرون من المفلس؟** »[٢] فذكر أن المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار .

(فصل) ومن الظلم أن يستأجر أجيراً أو إنساناً في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً استوفى منه العمل ولم يعطه أجرته** » وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : « **أنا حجيجه ـ أو قال ـ : أنا خصمه ـ يوم القيامة** » .

ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » قيل : يا رسول الله . . وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال : « **وإن كان قضيباً من أراك** » .

فخف القصاص غداً إذا وفيت ما	كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه إلا شاخص	أو مهطع أو مقنع للراس
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم	نار وحاكمهم شديد الباس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى	فغد تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا إكراه للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطلبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال ﷺ : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[١] .

وقال ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار** »[٢] .

وروي عن عبد الله بن أبي الدنيا بسنده إلى أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : « **أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته ، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ، ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلي هذا المظلوم وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال: سوقوهم إلى النار** »[١] .

---

(٢) تقدم قريبا ، رواه مسلم ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة .

(١) رواه مسلم ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة ، قال المنذري في ترغيبه .

وكان شريح القاضي يقول سيعلم الظالمون حق منا انتقصوا ، إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروي أنه إذا أراد الله بعبده خيرًا سلط الله عليه من يظلمه . ودخل طاووس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان . قال هشام : وما يوم الأذان؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** ﴾[2] فصعق هشام ، فقال طاووس : هذا ذل الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضيًا باسم الظالم . . كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم . . والحق الحاكم .

(**فصل**) في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم : قال الله تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾[1] والركون ها هنا : السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة . وقال السدي وابن زيد : لا تداهنوا الظلمة . وقال عكرمة : هو أن يطيعهم ويودهم . وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم : ﴿ **فتمسكم النار** ﴾[2] فيصيبكم لفحها ﴿ **وما لكم من دون الله من أولياء** ﴾[3] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ **ثم لا تنصرون** ﴾ [4] لا تمنعون من عذابه .

وقال تعالى : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ [5] أي أشباههم وأمثالهم وأتباعهم . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيكون أمراء يغشاهم غواش ـ أو حواش ـ من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه** »[6] وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **من أعان ظالمًا سلط عليه** » [7] .

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال مكحول الدمشقي : يناد منادي يوم القيامة : أين الظلمة وأعوانهم؟ . . فما يبقى أحد مد لهم حبرًا أو حبر لهم دوة أو برى لهم قلمًا فما فوق ذلك إلا حضر معهم ، فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم .

---

(١) رواه الطبراني في مسنده ، عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي ، وهو ضعيف ، ووثقه سعيد بن منصور ، وقال : كان مالك يرضاه . . أ هـ مجمع الزوائد .
(٢) الأعراف : ٤٤ .
(٣) هود : ١١٣ .
(٤) هود : ١١٣ .
(٥) الصافات : ٢٢ .
(٦) رواه أحمد ، وأبو يعلي ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث أبي سعيد الخدري ، لا ابن مسعود ، كما في المنذري ، فلعل ما هنا من خطأ نساخ .
(٧) عزاه السيوطي في جامعه الصغير إلى ابن عيساكر ، عن ابن مسعود ، وأشار إلى ضعفه .

وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال : إني رجل أخيط ثياب السلطان . . هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة** » وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوذة : أعوان الظلمة . وقد روي أن الله تعالي أوحى إلى موسى عليه السلام : أن مر بني إسرائيل أن يتلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم . وفي رواية : فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة[1] .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يقف أحدكم في موقف يضرب فيه رجل مظلوم فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه** » .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أتي رجل في قبره فقيل له : إنا ضاربوك مائة ضربة، فما زال يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه نارًا ، فقال لما ضربتموني هذه الضربة؟ فقالوا إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره** »[2] فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم .

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ، فقيل يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلومًا فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره** »[3] . ومما حكي عن بعض العارفين : رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له : ما حالك؟ قال : شر حال ، فقلت : إلى أين صرت؟ قال : إلى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده؟ قال : شر حال . . أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[4] . ومما حكي قال بعضهم : رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى : من رأني فلا يظلمن أحدًا ، فقدمت إليه فقلت له يا أخي . . ما قصتك قال : يا أخي قصة عجيبة ، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يومًا صيادًا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني فضربته وأخذتها منه قهرًا ومضيت بها ، قال : فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضة قوية ، فلما جئت بها إلي بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألمًا شديدًا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم ، وورمت يدي فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال : هذه بدء الآكلة . . اقطعها

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن ، من حديث ابن عباس بلفظ : يقتل فيه رجلا ظلما . . . الخ . . أهـ ترغيب .

(٢) رواه الطبراني من حديث ابن عمر ، وفي سنده يحيى بن عبد الله البابلي ، وهو ضعيف ، قاله في مجمع الزوائد ، وعزاه في الترغيب إلى كتاب التوبيخ لأبي الشيخ ابن حبان ، وأشار لضعفه .

(٣) رواه البخاري من حديث أنس ، ومسلم من حديث جابر ، قاله المنذري فيه .

(٤) الشعراء : ٢٢٧ .

وإلا تقطع يدك فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم فقيل لي : اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم إلى الساعد وآلمني ألمًا شديدًا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقيل لي : اقطعها إلي المرفق فقطعتها فانتشر الألم إلى العضد وضربت على العضد أشد من الألم الأول فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها فقال لي بعض الناس : ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لي لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك غضوًا . . فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك . قال : فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبله وأبكي وقلت له : يا سيدي . . سألتك بالله إلا عفوت عني فقال لي من أنت؟ قلت : أنا الذي أخذت منك السمكة عصبًا وذكرت ما جرى وأريته يدي ، فبكى حين رأها : ثم قال : يا أخي . . قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ، فقلت : يا سيد بالله هل كنت قد دعوت علي ما أخذتها؟ قال : نعم . . قلت : اللهم إن هذا قد تقوى علي بقوته علي ضعفي ، على ما رزقتني ظلمًا فأرني قدرتك فيه . فقلت : يا سيدي . . قد أراك الله قدرته في وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عدت أقف لهم علي باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيًا إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

(**موعظة**) إخواني . . كم أخرج الموت نفسًا من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجسادًا بجارها لم يجارها ، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها . .

شعر :

يا معرضًا بوصال عيش ناعم	ستصد عنه طائعًا أو كارهًا
إن الحوادث تزعج الأحرار عن	أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ، ونال الأماني وركب العواتق ، صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه في لهوه اقطع طارق وزجرت عليه وعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق ، وقلاه الحبيب الذي لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق ، ونازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله القهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه وخرقه الدود في قبره كتمزيق قماشه ، وبقي في ضنك شديد من معاشه ، وبدع عن الصديق فكأنه يماشه . ما نفعه والله الآحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد الأعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعًا من السبل والأوفاز ، وبقي رهينًا لا يدري أهلك أم فاز ، وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غدًا على التمام ، ويقع لي ولك ، ويحك . . أما يؤثر فيك هذا الكلام؟

المكـــاس

وهو داخل في قوله تعالى : ﴿ **إنّما السبيلُ على الّذينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ ويَبْغُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحقِّ أولئكَ لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾[1] والمكاس من أكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ولذا قال النبي ﷺ : « **المكاس لا يدخل الجنة** » وقال ﷺ : « **لا يدخل الجنة صاحب مكس** » رواه أبو داود .

وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم؟ إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات . وهو داخل في قول النبي ﷺ : « **أتدرون من المفلس؟** » قالوا : يا رسول الله . . المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : « **إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** »[2] .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم : « **لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه** » والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص .

وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به** » والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدي[3] رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُل لا يَستَوي الخَبِيثُ والطَّيبُ** ﴾[4] .

وعن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله . . إن الخمر كانت تجارتي وإني قد جمعت من بيعها مالاً ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى؟ .

فقال رسول الله ﷺ : « **إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيب** » .

فأنزل الله تعالى تصديقًا لقول رسول الله ﷺ : ﴿ **قُل لا يَستَوي الخَبِيثُ والطَّيبُ وَلَو أعْجَبَكَ كَثرَةُ الخَبِيثِ** ﴾ .

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام .

فنسأل الله العفو والعافية .

---

(١) الشورى : ٤٢ .
(٢) رواه مسلم ، والترمذي ، من حديث أبي هريرة ، كما في الترغيب للمنذري .
(٣) ذكره في تفسيره الوسيط بلا سند ، وقاله السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول : بسند ضعيف .
(٤) المائدة : ١٠٠ .

(**موعظة**) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس وبلغ المنتهى ورأس الملتمس ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، أزعجه والله هازم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس .

فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس ينظر :

تبني وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فيما في العيش من طمع ... لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحكوا بمهلكة في وسط معركة ... صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث وضمهم جدث ... باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت ... أيد البلا بهم والدود يفترس
لعاينت منظرًا تشجى القلوب له ... وأبصرت منكرًا من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها ... في رونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظم باليات ما بها رم ... وليس تبقى لهذا وهي تنتهي
وألسن ناطقات زانها أدب ... ما شأنها بالآفة الخرس
حتام يا ذا النهى لا ترعوي سفهًا ... ودمع عينيك لا يهمي وينبجس

(**موعظة**) يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة . ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقة والسهام مرسلة ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله ، وهو يأمل البقاء ويرى مصير من قد أمله ، قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله ، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله .

فيا عجبًا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة ، استيقن من غرور ويله ، ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك لو علمت منزلة فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

قال الله عز وجل : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾[1] أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل . والأكل بالباطل على وجهين :

أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثاني : على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي وما نحو ذلك .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** »[2] . وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب . . يا رب . . ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك . وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله . . ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال ﷺ : « **يا أنس .. أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يومًا** »[3] . وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالاً حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن** »[4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا حلوة خضرة ، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض (فيما[5] اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة** »[6] . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار** » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **لأن يجعل أحدكم في فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حرامًا** »[7] .

---

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) من حديث خولة الأنصارية .

(٣) ذكره المنذري في ترغيبه ، من حديث ابن عباس ، وأن الذي طلب دعوة الرسول إجابة دعوته ، هو سعد بن أبي وقاص ، وعزاه إلى الطبراني .

(٤) عزاه في الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود ، وقال : قد حسنها بعضهم .

(٥) عبارة الترغيب هكذا : في مال الله ورسوله .

(٦) رواه البيهقي ، قاله المنذري في الترغيب .

(٧) رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن إسحاق ، وقد وثق ، قاله الهيثمي في مجمعه ، وقال المنذري : إسناده جيد .

وقد روي عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك(١) .

وقد روي في حديث : أن ملكًا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً . **الصرف** : النافلة ، **والعدل** : الفريضة .

وقال عبد الله بن المبارك : لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة . وجاء عن النبي ﷺ من حج بمال حرام فقال : لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك »(٢) . وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه** »(٣) .

وقال وهيب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه . وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وقال عمر رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام .

وعن كعب بن عجرة (٤) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام** » .

وعن زيد بن أرقم (٥) قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ـ أي قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه ، قال فجاءه ذات ليلة بطعم وكان أبو بكر صائمًا فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا؟ فقال : كنت تكهنت لأناس في الجاهلية وما كنت أحسن الكهانة إلا أني خدعتهم ، فقال أبو بكر : أف لك كدت تهلكني . ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شئ في بطنه فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال

---

(١) يعني صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة ، وتقدم قريبا .

(٢) رواه الطبراني من حديث أبي هريرة ، وفي سنده سليمان بن داود اليمامي ضعيف . . أ هـ مجمع الزوائد .

(٣) من حديث ابن عمر ، في سنده هاشم ، لم يعرفه الهيثمي ، وأشار المنذري إلى ضعفه .

(٤) حديث كعب بن عجرة ، رواه الترمذي ، وابن حبان في صحيحه بلفظ : « لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت ، النار أولى به » ، وما في الكتاب هنا لفظ حديث أبي بكر الصديق ، رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وبعض أسانيدهم حسن ، أفاده المنذري .

(٥) رواه البخاري ، من حديث عائشة ، بدون الزيادة في آخره من شرب الماء . . الخ .

رضي الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** » فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة . وقد تقدم قوله ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام** » وإسناده صحيح .

قال العلماء رحمهم الله : ويدخل في هذا الباب المكاس والخائن والزغلي والسارق والبطال وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ، ومن استعار شيئًا فجحده ، وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئًا فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حرًا فأكل ثمنه .

(**فصل**) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذا جئ بهم جعلها الله هباء منثورًا ثم يقذف بهم في النار ، فقيل يا رسول الله .. كيف ذلك؟ قال : كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شئ من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم** »[1] .

وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : خيرًا . . غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

(**موعظة**) عباد الله . . أما الليالي والأيام تهدم الآجال؟ . .

أما مال المقيم في الدنيا إلى الزوال ؟ . . أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال؟ . .

أما غاية السلامة نقصان الكمال؟ . . أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال؟ . .

أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال؟ . . أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟ . .

وعزيز ناعم ذل له ... كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعد لين ملبس ... خشنًا بالرغم منه في الرغام
ووجوه ناضرات بدلت ... بعد لون الحسن لونًا كالقتام
وشموس طالعات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه ... لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدنيا فما شيمتها ... غير نقص العهد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا ... صالحًا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقًا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البصر ، يا مضيعًا في الهوى واجبات الهوى ، تبارز الخالق وتستحي من الخلوق ، يا مؤثرًا على العلالي ساترًا ذلك الفسوق ، ألا

---

(١) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي ، من حديث طويل ، في سنده كلثوم بن زياد ، وبكر بن سهل الدمياطي ، وكلاهما وثق ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح . . أهـ مجمع الزوائد .

ستري ذلك الفسوق؟ يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق ، ابك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق . عجبًا لمن رأى فعل الموت لصحبه ، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه ، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه ، ونام غافلاً على جنبه ، ونسى جزاءه على جرمه وذنبه ، وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه ، كأني به وقد سقي كأس حمام يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن أهله وسربه ، ونقله إلى قبر ذل فيه بعد عجبه ، فيا ذا اللب جز على قبره وعج به[1] ، لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع ولكنه أعمى المطامع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع فما بالها لاتسكب المدامع؟ يا عجبًا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع ، يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر يراجع؟ انتبه لما بقي وانته وراجع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع .

الكبيرة التاسعة والعشرون :

أن يقتل الإنسان نفسه

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إنَّ اللهَ كانَ بِكم رَحِيماً، ومَن يَفْعَل ذَلكَ عُدوانًا وظُلمًا فَسَوفَ نُصليه نارًا وكَانَ ذلكَ على الله يَسِيرًا** ﴾[2] . قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضًا لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والأكثرين .

وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصوري بإسناده عن عمرو بن العاص قال : احتلمت في ليلة باردة وأنا في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت فصليت بأصحابي الصبح فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « **يا عمرو .. صليت بأصحابك وأنت جنب** »؟ فأخبرته الذي منعني من الاغتسال فقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا** ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر عليه ذلك النبي ﷺ[3] . قوله : ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل من نهي عنه من أول السورة إلى هذا الموضع . وقال قوم : الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله تعالى : ﴿ **عدوانًا وظلمًا** ﴾ مع العدوان أن يعدو ما أمر الله به ﴿ **وكان ذلك على الله يسيرًا** ﴾ أي أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال

---

(١) أي أكثر ، واهتم به .
(٢) النساء : ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) رواه أبو داود ، والمنذري في مختصره : حسن .

النار . وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه ، حرمت عليه الجنة** » مخرج في الصحيحين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا** » مخرج في الصحيحين . وفي حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة** »[1] . وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ : « **هو من أهل النار** » .

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم .

(**موعظة**) ابن آدم . . كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ، وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة ، يا معرضًا عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض ، يا غافلاً عن الموت والعمر لا شك في انقراض ، يا مغترًا في أمله وأيدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض ، يا مغرور بصحته وبدنه كل يوم في انتقاص يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض ، يا غافلاً عن الزاد وقد أنذره بعض السواد والبياض . يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض ، يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكًا وعيون الفنا غير غماض ، عجبًا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض .

الكبيرة الثلاثون :

الكذب في غالب أقواله

قال الله تعالى : ﴿ **لعنَتَ الله على الكَاذِبينَ** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **قُتِلَ الخَرَّاصُونَ** ﴾[3] أي الكاذبون . وقال تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ لا يهدي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب** ﴾[4] .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ومايزال الرجل يكذب**

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي باختصار ، والترمذي وصححه ، وهذا لفظ الترمذي ، كما في الترغيب والترهيب .
(١) آل عمران : ٦١ .
(٢) الذاريات : ١٠ .
(٣) غافر : ٢٨ .

ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

وفي الصحيحين أيضًا أنه ﷺ قال : « **آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان** » (١) . وقال ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر** »(٢) . وفي صحيح البخاري من حديث منام النبي ﷺ قال : « **فأتين على رجل مضطجع لقفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلي قفاه ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يرجع إليه حتى يصبح مثل ما كان ، فيفعل به كذلك حتى يوم القيامة فقلت لهما : من هذا؟ فقالا : إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق** » (٣) .

وقال ﷺ : « **يطبع المؤمن على كل شئ ليست الخيانة والكذب** »(٤) . وفي الحديث : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »(٥) . وقال ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر** »(٦) العائل : الفقير . وقال ﷺ : « **ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ، ويل له ... ويل له.. ويل له** »(٧) **وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : ﴿ ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾**(٨) .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه منها لم يف له** »(٩) . وقال ﷺ : « **كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب**»(١٠) وفي الحديث أيضًا : « **من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد** »(١١) .

---

(١) من حديث أبي هريرة .
(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .
(٣) من حديث سمرة بن جندب مطولا .
(٤) رواه أحمد ، من حديث أبي أمامة ، بسند منقطع بلفظ : « يطبع المؤمن على الخلال كلها . . » الخ، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار ، وأبي يعلي بسند رجاله رجال الصحيح ، ولكن رجح الدار قطني وقفه ، كذا في الترغيب .
(٥) متفق عليه ، من حديث أبي هريرة . . أ هـ مشكاة .
(٦) رواه مسلم وغيره ، من حديث أبي هريرة . . ترغيب .
(٧) رواه أحمد ، من حديث النواس بن سمعان ، وشيخ أحمد فيه عمر بن هارون فيه خلاف ، قاله في الترغيب .
(٨) المجادلة : ١٤ .
(٩) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه أبو داود والنسائي والبيهقي ، من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده . . ترغيب .
(١٠) رواه الجماعة إلا الترمذي ، كلهم من حديث أبي هريرة .
(١١) رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ : « **أفرى الفرى على الله أن يري الرجل عينيه ما لم تريا**»[1] معناه أن يقول : رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئًا . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين[2] . فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة فإن في السكوت السلامة والسلامة لا يعدلهما شئ .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لاينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم . قال أبو موسى[3] : قلت يا رسول الله : أي المسلمين أفضل ؟ قال : « **من سلم المسلمون من لسانه ويده** » . وفي الصحيحين : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ـ أي ما يفكر فيها بأنها حرام ـ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** »[4] .

وفي موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلي يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه**»[5] . والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية . وسئل بعضهم كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تحصى ، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة أن استعملها سترت العيوب كلها وهي حفظ اللسان . جنبنا الله معاصيه واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم .

(**موعظة**) أيها العبد . . لا شئ أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها ، لقد مضى من عمرك الأطايب ، فما بقي بعد شيب الذوائب ، يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب ، يمضي زمن الصبا وحب الحبائب ، كفى زاجرا واعظا تشيب منه الذوائب ، يا غافلا فاته أفضل المناقب، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذي ضاع في الملاعب، نظرت فيه آخر العواقب ، كم في القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لي إذا قمت في موقف المحاسب وقيل لي : ما صنعت في كل

---

(١) رواه البخاري ، من حديث ابن عمر . . أ هـ مشكاة .

(٢) ذكره مالك في موطأه بلاغا . . أ هـ ترغيب ، قال : وقد تقدم بنحوه متصلا مرفوعا .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، قاله المنذري في ترغيبه ، وأبو موسى هو الأشعري ، اسمه عبد الله بن قيس .

(٤) من حديث أبي هريرة ، ورواه النسائي أيضا ، كما في الترغيب .

(٥) وكذا رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد . . أ هـ ترغيب .

واجب كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ؟ إذا أتتك الأماني بظن الكاذب ، الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقى شره بكأس صدور الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم غائب ، يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب . يا آملا أن تبقى سليما من النوائب ، ينبت بيتا كنسيج العناكب ، أين الذين علوا متون الركايب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب ، وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب .

الكبيرة الحادية والثلاثون :

القاضي السوء

قال الله تعالى : ﴿ومَنْ لَم يَحكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُولَئكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ومَنْ لَم يَحكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُولَئكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ (٢) . وقال الله تعالى : ﴿ومَنْ لَم يَحكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُولَئكَ هُم الفَاسِقُونَ﴾ (٣) .

وروى الحاكم بإسناده (٤) عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال : **«لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله»** . وصحح الحاكم أيضًا من حديث بريدة رضي اله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فجار متعمدًا فهو في النار ، وقاض قضى بغير علم فهو في النار» قالوا : فما ذنب الذي يجهل ؟ قال : **«ذنبه أن لا يكون قاضيًا حتى يعلم»**(٥) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين»**(٦) . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ينبغي للقاضي أن يكون يومًا في القضاء ويومًا في البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب : القضاة .

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة»**(٧) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إن القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن»** .

(١) المائدة : ٤١ .
(٢) المائدة : ٤٥ .
(٣) المائدة : ٤٧ .
(٤) في سنده عبد الله بن محمد العدوي واه متهم ، وهكذا مما أنكر على الحاكم ، قال المنذري : ولفظه : «لا يقبل الله صلاة إمام جائر» ، وقال الذهبي في رسالته الصغرى : بسند لا أرضاه .
(٥) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وقواه المصنف في صغراه .
(٦) رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن غريب ، وابن ماجة ، والحاكم وصححه . . أ هـ ترغيب .
(٧) رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه . . أ هـ ترغيب .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق فإن كان عدلا نجاه الله بعدله وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضا فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم»** .

وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء . وقال أيوب السختياني : إني وجدت أعلم الناس أشدهم هربًا منه . وقيل للثوري : إن شريحًا قد استقضى ، فقال : أي رجل قد أفسدوه . ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى فعاوده وقال : لتجلسن وإلا جلدتك . فقال : إن تفعل فإنك سلطان وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة . وقال وهب بن منبه : إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

أما بعد ..فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح .

فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور . .

والسلام .

قال : ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة [1] وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

(**موعظة**) يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص ، يا مائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ . يا مفرطا في عمره هل بادرت الفرص ؟ . يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص [2] ؟ .

عجبًا لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ولأن تقرعها المواعظ فتصغي لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ، ولست له في حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة ثم تعود إلى ما لا يحل مرارا متتابعة .

---

(١) في الأساس : زعر الرجل زعراً ساء خلقه ، وقل خيره . . أهـ .
(٢) القصص : جمع قصة ، يعني الصحف التي فيها الأعمال .

اخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾[1] أي لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام أي لا تصانعوه بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **« لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم »**[2] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن . وعن عبد الله بن عمر : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي . قال العلماء الراشي هو الذي يعطي الرشوة والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق .

أما إذا أعطى ليتوصل لحق له أو يدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل في اللعنة وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقًا أو دفع بها ظلمًا .

وقد روي في حديث آخر[3] أن اللعنة على الرائش أيضًا وهو الساعي بينهما ، وهو تابع للراشي في قصده إن قصد خيرًا لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته .

(**فصل**) ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : **« من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا »** . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي إليك هدية فتقبلها منه . وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفًا فردها ولم يقبلها . وقال سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرًا فهو سحت . فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ماكنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر[4] نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(**حكاية**) عن الإمام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله ـ وكان يسكن ببيروت ـ أن نصرانيًا جاء إليه فقال : إن والي بعلبك ظلمني بمظلمة وأريد أن تكتب إليه ، وأتاه بقلة عسل . فقال الأوزاعي رحمه الله : إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه ، وإن شئت أخذت القلة . فكتب له إلى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجه . فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهمًا بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا في زمرته .

---

(١) البقرة : ١٨٨ .
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وزاد : والرائش . . يعني الذي يسعى بينهما . . أ هـ ترغيب .
(٣) أخرجه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . . أ هـ ترغيب .
(٤) رواه الطبراني عنه موقوفاً عليه . . أ هـ ترغيب .

(**موعظة**) عباد الله . . تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ، وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب ، أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ . ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا ! لقد وبخوا في أنفسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا .

شعر :

أمـا والله لـو علـم الأنـام ... لما خلقـوا لما هجعـوا وناموا

لقـد خلقـوا لأمـر لـو رأتـه ... عيـون قلوبهم تاهو وهاموا

ممات ، ثم قـبر ، ثـم حشـر ... وتـوبيخ ، وأهـوال عظام

ليـوم الحشـر قـد عملت رجـال ... فصلوا من مخافـته وصاموا

ونحـن إذا أمـرنا أو نهينـا ... كـأهـل الكهف أيقـاظ نيام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ . يا من سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ . يا مطلقًا لسانه والملك يحصي وينسخ . يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكًا كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم البرزخ . يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ . يا مبارزًا بالعظائم : أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ . يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ ، والحمد لله دائمًا وأبدًا .

الكبيرة الثالثة والثلاثون :

تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء** » [١] .

وفي رواية : « **لعن الله الرجلة من النساء** »[٢] .

وفي رواية قال : « **لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**»[٣] ـ يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة** »[٤] .

فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهن

(١) رواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ : « لعن رسول الله . . . » الخ .
(٢) قال المصنف في رسالته الصغرى : إسناده حسن .
(٣) عزاها في الترغيب والترهيب للبخاري ، من حديث ابن عباس .
(٤) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم قال : **على شرط** مسلم . . أهـ ترغيب .

الرجال في لبسهم تلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها ذلك ـ أي رضي به ـ ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾[1] أي أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم ولقول النبي ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عنهم يوم القيامة**»[2] .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء** »[3] .

وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار ، وقال ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » أخرجه مسلم .

قوله كاسيات : أي من نعم الله عاريات من شكرها .

وقيل هو أن تلبس المرأة ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها . ومعنى مائلات : قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات : أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن ،

وقيل : مائلات : يمتشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا ، ومميلات : يمشطن غيرهم تلك المشطة ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة : أي يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوها .

وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذا أقبلت امرأة تسوق غنمًا متنكبة قوسًا فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة ، فالتفت إليها ابن عمرو فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت .

ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت .

وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء .

---

(١) التحريم : ٦ .
(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث ابن عمر .
(٣) أخرجه مسلم ، وغيره ، من حديث أبي هريرة ، وله شاهد من حديث ابن عمر ، وصححه ابن حبان ، وقال الحاكم : على شرط مسلم ، أفاده المنذري رحمه الله تعالى .

قال عنهن النبي ﷺ : **« اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء »**[1] . وقال ﷺ : **« ماتركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء »** .

فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بكرمه .

(موعظة) ابن آدم . .

كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم . ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم ، مفرقًا من مالك ما اجتمع ، ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم . فيا عجبًا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يومًا فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ، متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجا . متى تكون في الليل قائمًا إذا سجى ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا . لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعد : شعر . .

يا نائم الليل كم ترقد	قم يا حبيبي فقد دنا الموعد
من نام حتى ينقضي ليله	لم يبلغ المنزل قبل أن يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة الرابعة والثلاثون :

الديوث المستحسن على أهله
والقواد الساعي بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى : **﴿ الزَّاني لا ينكحُ إلا زَانيـة أو مشركـة والزانيةُ لا يَنكحـها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلكَ على المؤمنينَ ﴾**[2] . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **« ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء »**[3] . وروي أن رسول الله ﷺ قال : **« ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله »**[4] .

---

(١) وهو في الصحيحين .
(٢) النور : ٣ .
(٣) رواه النسائي ، والبزار ، والحاكم وصححه ، من حديث ابن عمر ، قاله المنذري في ترغيبه .
(٤) رواه أحمد ، والبزار ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وهو من حديث عبد الله ابن عمر ، أفاده المنذري .

يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينًا وهو عاجز أو صداقًا ثقيلاً أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيرة له .

فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

(**موعظة**) أيها المشغول بالشهوات الفانيات . . متى تستعد لممات آت ، حتى متى لا تجتهد في لحاق القوافل الماضيات . أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات .

هيهات هيهات هيهات .

يا آملاً في زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات ، احذر مكائده فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات :

تمضي حلاوة ما أخفيت وبعدها ... تبقى عليك مرارة التبعات

يا حسرة العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذي ... ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت . أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت .

أما رأيت عرائس أحاد إلى اللحود قد زفت . أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت .

أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ؟ . ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك الدارس .

أين الأكاسرة الشجعان الفوارس وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس .

أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ، أين من اعتاد سمة القصور؟ .

حبس في القبور في أضيق المحابس ، أين الرافل في أثوابه عري في ترابه عن الملابس .

أين الغافل في أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس .

حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها ، لمن دعي إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له[1] . قال الترمذي : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه أيضًا بإسناد صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « **لا ، إلا نكاح رغبة لانكاح دلسة** [2] **، ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة** » ورواه أبو إسحاق الجوزجاني . وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له** » رواه ابن ماجة بإسناد صحيح . وعن ابن عمر أن رجلاً سأله فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا . . إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها ، وإنا كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله ﷺ . وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما .

وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : ذلك السفاح .

وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال : ابن عمي طلق امرأة ثلاثًا ثم ندم ، فقال : ابن عمك قد عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا ، فقال : كيف ترى في رجل يحللها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه .

وقال إبراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول . وقال الحسن البصري : إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال : لا يحل تحل . وممن قال بذلك مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والإمام أحمد وقال إسماعيل بن سعيد : سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال : هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون .

---

(١) رواه النسائي ، والترمذي ، قاله المصنف في الصغرى .
(٢) التدليس : كتم العيب كما في المجمع والأساس ، والمراد هنا : إظهار الرغبة في النكاح مع إبطان خلافه .

ومذهب الشافعي رحمه الله : إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة ، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة ، وإن عقد كذلك ولم يشرط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان :

أصحهما : أنه يبطل ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي .

ووجه الثاني : أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها ، والله أعلم .

فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ويجنبنا معاصيه إنه جواد كريم .

(**موعظة**) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا . وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا . هجروا في طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى . رضوا فلم يعترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا ، أسلموا إليه لما سلموا الروح . وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح . وقاموا في الأسحار قيام من يبكي وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، وقد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح . من طيب الثناء روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق .

الكبيرة السادسة والثلاثون :

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : ﴿ وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة بين الناس وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول ـ أي يتحرز منه ـ** » مخرج في الصحيحين .

وقال رسول الله : « **استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه** » رواه الدارقطني .

ثم إن من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة .

---

(١) المدثر : ٤ .

وروى الحافظ وأبو نعيم [1] في الحلية عن شقي بن ماتع الأصبحي عن رسول الله ﷺ قال : **« أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى »** قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فمه قيحًا ودمًا ورجل يأكل لحمه ، قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس . ثم يقال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان لا يبالي أين ما أصاب من البول ـ ولا يغسله ـ ثم يقال للذي يسيل فمه قيحًا ودمًا : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس » ـ يعني بالغيبة ـ فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين .

(**موعظة**) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا .

وأما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا لطيفًا ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر [2] الجديدين نقصا ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به ... كالليل ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيض قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لزخرفها ... أين الملوك ، وملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... إن اغترار بظل زائل حمق

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وفي ذم الغيبة ، والطبراني في الكبير بإسناد لين ، وأبو نعيم ، وقال : شفي بن ماتع مختلف في صحبته فقيل : له صحبة ، قال الحافظ المنذري : شفي ذكره البخاري ، وابن حبان في التابعين . . أ هـ الترغيب والترهيب .

(٢) يعني : تعاقب الليل والنهار .

الرياء

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين : ﴿ يُرَاءونَ النَّاس وَلا يَذْكُرُونَ الله إلا قليلاً ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ للمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُم عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُم يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطلوا صَدَقَاتِكُم بالمَنِّ والأَذَى كالَّذِي ينفقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾[3] . . الآية . وقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[4] أي لا يرائي بعمله . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريئ ، وقيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال : هو عالم وقرأت ليقال : هو قارئ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار** » رواه مسلم . وقال ﷺ : « **من سمع سمَّعَ الله به ، ومن يرائي يراءي به**»[5] .

قال الخطابي : معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم . وقال عليه الصلاة والسلام : « **اليسير من الرياء شرك** »[6] قال ﷺ : «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .. يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟** »[7] .

---

(١) النساء : ١٤٢ .
(٢) الماعون : ٤ ـ ٧ .
(٣) البقرة : ٢٦٤ .
(٤) الكهف : ١١٠ .
(٥) متفق عليه ، من حديث جندب بن عبد الله ، ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب ، من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه ، وفي مسند أحمد ، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قاله العراقي في تخريج الإحياء .
(٦) رواه الحاكم ، من حديث معاذ ، والطبراني نحوه ، أفاده العراقي .
(٧) رواه أحمد ، والبيهقي في الشعب ، من حديث محمود بن لبيد ، وله رؤية ، ورجاله ثقات ، ورواه الطبراني عنه ، عن رافع بن خديج (العراقي) .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وبَدَا لَهُم مِنَ اللهِ مَا لم يكُونُوا يَحتَسِبُون ﴾[1] . قيل : كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، كان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء . وقيل[2] : إن المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر . . . اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه : وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله : انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي . وروي أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته فقال : يا صاحب الرقبة . . . ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب . وقيل : إن أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ، فقال له أبو أمامة : أنت أنت لو كان هذا في بيتك ؟ . وقال محمد ابن المبارك الصوري : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

للمرائي ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم به . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

فنسأل الله المعونة والإخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم .

(**موعظة**) عباد الله . . إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل . يا من يوقن أنه لا شك راحل وماله زاد ولا رواحل . يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل ، هل انتبهت من رقاد شامل . وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وقمت في الليل قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، وتخفي بها زفرات الندم والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل ، وا أسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل وركن إلى ركوب الهوى ركبته سائل ، يبني البنيان ويشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعي بعد هذا أنه عاقل ، تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل .

وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل :

---

(١) الزمر : ٤٧ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، من رواية جبلة اليحصبي ، عن صحابي لم يسم ، وإسناده ضعيف . . أ هـ عراقي .

أيها المعجب فخرا	بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل	لقيام وقنوت
فغدا تنزل بيتا	ضيقا بعد النحوت
بين أقوام سكوت	ناطقات في الصموت
فارض في الدنيا بشوب	ومن العيش بقوت
واتخذ بيتا ضعيفا	مثل بيت العنكبوت
ثم قل يا نفس هذا	بيت مثواك فموتي

الكبيرة الثامنة والثلاثون :

التعلم للدنيا و كتمان العلم

قال الله تعالى : ﴿**إنَّمـا يخشى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[1] يعني العلماء بالله عز وجل . قال ابن عباس : يريد إنما يخافني من خلقي من علم بجبروتي وعزتي وسلطاني . وقال مجاهد والشعبي : العالم من خاف الله تعالى . وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فلي بعالم . وقال تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ ما أنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى من بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ للنَّاسِ في الكتَابِ أولئكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ويَلْعَنهمُ اللاعنُونَ** ﴾[2] نزلت هذه الآية في علماء اليهود . وأراد بـ﴿ **البينات** ﴾ : الرجم والحدود والأحكام . وبالهدى : أمر محمد عليه الصلاة والسلام ونعمته : ﴿ **من بعد ما بيناه للناس** ﴾ أي بني إسرائيل : ﴿ **في الكتاب** ﴾ أي في التوراة ﴿ **أولئك** ﴾ يعني الذين يكتمون ﴿ **يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ . قال ابن عباس : كل شيء إلا الجن والإنس . وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال تعالى : ﴿**وإذْ أخَذَ اللَّهُ ميثَاقَ الَّذينَ أوتُوا الكتَابَ لَتُبيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم واشْتَروا بهِ ثَمَنًا قَليلا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ**﴾[3] . قال الواحدي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه وهو قوله تعالى : ﴿**لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ . وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ . وقوله : ﴿ **فنبذوه وراء ظهورهم** ﴾ . قال ابن عباس : أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، ﴿ **واشتروا به ثمنًا قليلا** ﴾ ، يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم ، وقوله : ﴿ **فبئس ما يشترون** ﴾ .

قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا ، وقال رسول الله ﷺ : « **من تعلم علمًا مما**

(١) فاطر : ٢٨ .
(٢) البقرة : ١٥٩ .
(٣) آل عمران : ١٨٧ .

يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة »(١) ـ يعني ريحها ـ رواه أبو داود . وقد مر حديث أبو هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذي يقال له : إنما فعلت ليقال عالم وقد قيل(٢) . وقال ﷺ : « **من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار** » وفي لفظ : «**أدخله الله النار** » أخرجه الترمذي (٣) . وقال ﷺ : « **من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار** » (٤) . وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « **أعوذ بك من علم لا ينفع** » (٥) . وقال ﷺ : « **من تعلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار** »(٦) . وقال ﷺ : « **من تعلم علمًا لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرًا** »(٧) . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له : بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك ؟ فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** »(٨) . وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه إشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه ولا سلامة منه أشد من العمل به .

فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

(**موعظة**) **ابن آدم** .. متى تذكر عواقب الأمور ؟ . متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ . إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ . أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ . أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور ؟ . رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور ، وجاءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهي تفور . ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

إنما الدنيا متاع — كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم — السماء فيه تمور

(١) رواه ابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : على شرط مسلم ، قاله المنذري ، وقال المصنف في الصغرى : سنده صحيح .
(٢) أي : في الباب الماضي .
(٣) بسند فيه إسحاق بن يحيى ، وهو واه ، قاله المصنف في صغراه .
(٤) بإسناد صحيح رواه عطاء ، عن أبي هريرة ، ونحوه ، من حديث عبد الله ابن عمرو ، وقال : على شرطهما ، ولا أعلم له علة ، قاله المصنف في الصغرى .
(٥) رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث ابن أرقم وتمامه : « ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . . أ هـ منذري .
(٦) حسنه الترمذي ، قاله المصنف في الصغرى ، وقال المنذري : رواه الترمذي ، وابن ماجة ، من رواية خالد بن دريك ، عن ابن عمر ، ولم يسمع منه ، ورجال إسنادهما ثقات .
(٧) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم بنحوه ، وقال : على شرط الشيخين ، كلهم من حديث أبي هريرة ، قاله المنذري في الترغيب .
(٨) رواه ابن حبان ، ومسلم ، من حديث أسامة بن زيد ، ورواه البيهقي ، وابن حبان من حديث أنس ، أفاده المنذري ، فما هنا من جعله من حديث أبي أمامة خطأ من الناسخ ، أو سبق قلم .

الخيانـــة

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وأَنتُم تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا : يا أبا لبابة . . ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا ؟ . فأشار أبو لبابة إلى حلقه ـ أي أنه الذبح فلا تفعلوا ـ فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله . قال أبو لبابة : فما زلت قدماي من مكاني حتى عرفت أني خنت الله ورسوله . وقوله : ﴿ **وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ عطف على النهي ـ أي ولا تخونوا أماناتكم ـ قال ابن عباس : الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ـ يعني الفرائض ـ يقول . لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى . وقوله : ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ إنها أمانة من غير شبهة . وقال تعالى : ﴿ **إن الله لا يهدي كيد الخائنين** ﴾[2] أي لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية . وقال ﷺ : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان** »[3] . وقال ﷺ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** »[4] والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك** » .

وفي الحديث أيضًا : « **يطبع المؤمن على كل شئ ليس الخيانة والكذب** »[5] .

وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه** »[6] وفيه أيضًا : « أول ما يرفع من الناس الأمانة . وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه » .

---

(١) الأنفال : ٢٧ .

(٢) يوسف : ٥٢ .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث أبي هريرة ، وزاد مسلم : « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » وروى نحوه أبو يعلى ، من حديث أنس ، قاله المنذري في ترغيبه .

(٤) رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث أنس ، والطبراني في الأوسط ، والصغير ، من حديث ابن عمر ، قاله المنذري .

(٥) رواه أحمد عن وكيع ، عن الأعمش ، قال : حديث عن أبي أمامة . . أهـ ترغيب . فيه انقطاع بين الأعمش وأبي أمامة .

(٦) رواه أبو داود ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وقال رسول الله ﷺ : **« إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة »**[1] .

وقال ﷺ : **«هكذا أهل النار - وذكر منهم رجلاً لا يخفى له طمع[2] وإن دق إلا خانه»**[3] . وقال ابن مسعود : يؤتي يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد أمانتك فيقول : أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له : انزل إليها فأخرجها ، قال : فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثارها أبد الآبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع[4] . اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(**موعظة**) عباد الله . . ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها وما أجهل النفوس وقد أطعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروها ما أودعتموها قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعامًا للدود في بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي : ما تختار لقال : أعود ولا أعود . شعر . . .

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما القوم في النمارق والإستبـ ... ـرق أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أضحى يعود مريضًا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة الأربعون :

المنان

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى** ﴾[5] .

قال الواحدي : هو يمن بما أعطى . وقال الكلبي : بالمن على الله في صدقته والأذى لصاحبها . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : **« ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »**[6] المسبل هو الذي يسبل إزاره أوثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين لأنه

---

(١) رواه زبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث أبي هريرة ، وأوله : « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع . . . » الخ ، أفاده المنذري في الترغيب .

(٢) لا يخفى أي لا يظهر ، والظهور والخفاء من الأضداد .

(٣) رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعي .

(٤) عزاه في الترغيب والترهيب إلى أحمد والبيهقي موقوفا بنحو ما هنا ، قال : وذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال : إسناده جيد . أهـ .

(٥) البقرة : ٢٦٤ .

(٦) يعني صحيح مسلم ، وهو عند الجماعة سوى البخاري ، من حديث أبي ذر رضى الله عنه . . أهـ ترغيب للمنذري .

ﷺ قال : « **ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار**»[1]. وفي الحديث أيضًا : ثلاثة لايدخلون الجنة : العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان » رواه النسائي [2] . وفيه أيضًا : «**لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان** » [3] والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذي يعطي شيئًا أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر** » ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾[4] . وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر : أحسنت إليك وفعلت وفعلت . . فقل له ابن سيرين : اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي . وكان بعضهم يقول : من مَنَّ بمعروفه سقط من شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنة

وأنشد بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلى يد ... أبطأ عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني ... أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الكريم إذا أعطى بمنان

(**موعظة**) يا مبادر بالخطايا ما أجهلك ، إلى متى تغتر بالذي أمهلك ؟ كأنه قد أهملك ، فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك ، يا مطمئنًا بالفاني ما أكثر زللك ، ويا معرضًا عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذي كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ، أين كثير المال أين طويل الأمل ؟ أما خلا وحده في لحده بالعمل ؟ أين من جر ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ؟ أين من تنعم في قصره فكأن في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل ، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

---

(١) رواه مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه في ضمن حديث كما في الترغيب .

(٢) رواه النسائي ، من حديث ابن عمر ، والبزار ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وابن حبان في صحيحه ، أفاده المنذري في ترغيبه .

(٣) رواه الترمذي ، وقال : حديث غريب . . أهـ ترغيب . والخب بكسر الخاء المعجمة هو الخداع الخبيث .

(٤) البقرة : ٢٦٤ .

التكذيب بالقدر

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1] .

قال ابن الجوزي في تفسيره : في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية : انفرد بإخراجه مسلم وروى أبو أمامة أن هذه الآية نزلت في القدرية[2] .

والقول الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد . . تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك فقال رسول الله ﷺ : « **أنتم خصماء الله** »[3] فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[4] .

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديًا فنادى نداء يسمعها الأولون والآخرون : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار يقول الله : ﴿ ذوقوا مس سقر * إنا كل شئ خلقناه بقدر ﴾**[5] .

وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها .

وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريًا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتد لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له : ذق مس سقر إنا كل شئ خلقناه بقدر . وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: « **كل شئ بقدر حتى العجز والكسل** » .

وقال ابن عباس : كل شئ خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[6] . قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام . وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم . وقال الله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[7] الإلهام إيقاع الشئ في النفس .

---

(١) القمر : ٤٩ .

(٢) رواه ابن عدي ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وغيرهم بسند ضعيف . قاله السيوطي في الدر المنثور .

(٣) أخرجه ابن مردويه ، عن ابن عباس ، قاله السيوطي في الدر المنثور .

(٤) القمر : ٤٧ـ٤٩ .

(٥) أخرجه ابن مردويه ، عن ابن عباس ، قاله السيوطي في الدر المنثور .

(٦) الصافات : ٩١ .

(٧) الشمس : ٨ .

قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها .

وقال بن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور ، والله أعلم . وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله منّ على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته وابتلى قومًا فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل ﴿ لا يسئل عما يفعل وهمك يسئلون ﴾** »[1] . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما بعث الله نبيًا قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة ، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًا** »[2] . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **القدرية مجوس هذه الأمة** »[3] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال فإذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريئ وأنهم براء مني** »[4] ثم قال : « **والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره** ». ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال : ما الإيمان ؟ قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . وقوله : « **أن تؤمن بالله** » الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء ، يفعل في ملكه ما يريد . والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿ **بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾[5] .

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم . والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

(٢) أورده المصنف في الصغرى له عن بقية ، عن أبي العلاء الدمشقي ، عن محمد بن حجارة ، عن يزيد بن حصين ، عنه ، ثم قال فيه وفي غيره : وهذه الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها .

(٣) أورده كذلك في الصغرى ، عن الحسن ، عن عائشة ، وقال فيه ما تقدم آنفاً من التضعيف ، وهو وما قبله عزاهما إلى كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وقال : فيها مقال ولا تثبت لضعف رواتها .

(٤) أخرج صدر حديث ابن عمر ، وأحمد في مسنده إلى قوله : « وإن الأمر أنف ـ أي مستأنف ـ لم يقدره الله ولا قضاه بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق » وبقيته كما في الدر المنثور : « إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » وعجز الحديث قوله : « فإذا لقيتهم . . . » الخ أخرجه مسلم في أول صحيحه .

(٥) الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨ .

ما دل عليه قوله سبحانه : ﴿ واللَّهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] . وقوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لا ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » . ومذهب السلف وأئمة الحديث أن من صدق بهذه الأمور تصديقًا جازمًا لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنًا حقًا سواء أكان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة ، الله أعلم .

(**فصل**) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات في الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برًا وفاجرًا والصلاة على من مات من أهل القبلة . والإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق . والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير آتى به إلا من شهد له النبي ﷺ والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

(**فائدة**) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها :

ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده ، **كفر** .**ولو** قال لو أمرني الله بكذا ما فعلت ، **كفر** .**لو** صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها ، **كفر** . **ولو** قيل له : لا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال : لو آخذني بها مع ما في من المرض والشدة ظلمني ، **كفر** . **ولو** قال : لو شهد عندي الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت ، **كفر** . **ولو** قيل له قلم أظافرك فإنها سنة ، فقال : لا أفعل وإن كانت سنة ، **كفر** . **ولو** قال فلان في عيني كاليهودي **كفر** .**ولو** قال : إن جلس للإنصاف أو قام للإنصاف **كفر** . وجاء في وجه : من قال لمسلم : لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان ، **كفر** .وجاء أيضًا : أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال : أريد أن تحلف بالطلاق ، **كفر** . واختلفوا في من قال : رؤيتي لك كرؤية الموت . فقال بعضهم: **يكفر**. **ولو** قال :

---
(١) الصافات : ٩٦ .
(٢) القمر : ٤٩ .

لو كان فلان نبيًا ما آمنت به ، **كفر** .**ولو** قال : أن كان ما قاله صدقًا نجونا ، **كفر** .**ولو** صلى بغير وضوء استهزاءً أو استحلالاً ، **كفر** .**ولو** تنازع رجلان فقال أحدهما : لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر : لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع ، **كفر**. **ولو** سمع أذان المؤذن فقال : إنه يكذب ، **كفر** .**ولو** قال : لا أخاف القيامة : **كفر** . **ولو** وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله فقال له رجل : سلمته إلى من لا يتبع السارق ، **كفر** .**ولو** جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهًا بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة ثريد خير من العلم ، **كفر** .**ولو** ابتلي بمصائب فقال : أخذت مالي وولدي ، وماذا نفعل ؟ **كفر** .**ولو** ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل . ألست بمسلم ؟ فقال : لا ـ متعمدًا ـ **كفر** .**ولو** تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، **كفر** .**ولو** شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال : هذا زنار ، فالأكثرون على أنه ، **يكفر** . **ولو** قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم ، **كفر** .**ولو** قال : النصراني خير من المجوسي ، **كفر** .**ولو** قيل لرجل : ما الإيمان ؟ فقال : لا أدري ، **كفر** . ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي : لا دين لك ، لا إيمان لك لا يقين لك، أنت فاجر أنت منافق، أنت زنديق أنت فاسق . . ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود في النار . فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين .

(**موعظة**) عباد الله . . أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا . نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا .

وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور فإذا نفخ في الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرًا علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردًا ... وحسمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة و ... الجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منتشـ ... ـرة فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقفة ... عما قليل وما تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم ... إذا رجو مخرجًا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني ولا جزع

الكبيرة الثانية والأربعون :

التسمع على الناس ما يسرون

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تَجَسَّسُوا** ﴾[1] . قال ابن الجوزي رحمه الله : قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال أبو عبيد : التجسس والتحسس واحد وهو البحث ، ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبي كثير : التجسس بالجيم عن عورات الناس وبالحاء الاستمتاع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً ، قال : إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شئ نأخذ به . وقال رسول الله ﷺ : « **من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة** » أخرجه البخاري . و الآنك الرصاص المذاب ، نعوذ بالله منه ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

(**موعظة**) عباد الله . . إن المنايا قد دنت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت ، كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت رب شمس طالعة على القبور قد غربت ، يا فراخ الفنا فخاخ البلى قد نصبت . عباد الله : كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنحت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، يا من يغتر بالأماني والآمال الكواذب ومبارز بالقبايح وما يدري من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ؟ يا من عمره يفنى في ممره ويسرى كالنجائب، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب ، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟!

الكبيرة الثالثة والأربعون :

النمـــام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها .

وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿**ولا تُطع كُلَّ حلافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيم**﴾[2] . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة نمام** »[3] .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما إنه كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة** » ثم أخذ

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) القلم : ١٠ ، ١١ .

(٣) وكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة وقال : « **لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[1] . وقوله : « **وما يعذبان في كبير** » أي ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير في زعمهما ولهذا قال في رواية أخرى : « **بلى إنه كبير** » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تجدون شر بالناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة** »[2] ، ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين . قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله : فلان يقول فيك كذا ، وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها وسواء أكان من الأقوال أو الأعمال وسواء أكان عيبًا أو غيره فحقيقة النميمة : إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية ، قال : وكل من حملت إليه نميمة وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال :

الأول : أن لا يصدقه لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله .

الثالث : أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب .

الرابع : أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[3] .

الخامس : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾[4] .

السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته . .

وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر : يا هذا . . إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت صادقًا فأنت من أهل الآية : ﴿ **إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾[5] وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل الآية : ﴿**هماز مشاء بنميم** ﴾[6] وإن شئت عفونا عنك ، فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا .

---

(١) رواه الجماعة ، وابن خزيمة ، كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .
(٢) رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، قاله وما قبله المنذري في الترغيب والترهيب .
(٣) الحجرات : ١٢ .
(٤) الحجرات : ١٢ .
(٥) الحجرات : ٦ .
(٦) القلم : ١١ .

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب ابن عباد[1] رحمه الله يحثه فيها على أخذ ما ل اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة ، النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله والساعي لعنه الله .

وقال الحسن البصري : من نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك ، وهذا مثل قول الناس ، من نقل إليك نقل عنك فاحذره .

وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾[2] . والزنيم : هو الدعي .

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخًا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكرهه فقال له : يا أخي . . أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنايات : بغضت إلي أخي وشغلت قلبي بسببه واتهمت نفسك الأمينة . وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال : إن فلانًا شتمك وقال عنك كذا وكذا . فقال : اذهب بنا إليه فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه فلما وصل إليه قال : يا أخي . . إن كان ما قلت في حقًا فغفر الله لي وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك . وقيل في قوله تعالى : ﴿ **حمالة الحطب** ﴾[3] : يعني امرأة أبي لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة . سمي النميمة حطبًا لأنها سبب العداوة كما أن الحطب سبب لاشتعال النار . ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

(**حكاية**) روى أن رجلاً رأى غلامًا يباع وهو ينادي عليه : ليس به عيب إلا أنه نمام فقط ، فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده أيامًا ، ثم قال لزوجة سيده : إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال : إنه لا يحبك فإن اردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسي واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك ، فالت في نفسها : نعم . . . واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها . . ثم جاء زوجها وقال : سيدي . . إن سيدتي زوجتك اتخذت لها صديقًا ومحبًا غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجئ إليك وفي يديها شئ تريد أن تذبحك به . وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسي لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها ، فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال ، فلما وضعت المرأة الموسي وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسي منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤم .

(١) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه « الروضتين » في مناقب محمود بن زنكي رحمه الله .
(٢) القلم : ١٣ .
(٣) المسد : ٤ .

فلذلك سمي الله النمام فاسقًا في قوله تعالى : **﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾**[1] .

(**موعظة**) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكًا . يا غافلا عن التلف وقد أدركه إدراكًا . يا مغرورًا بسلامته وقد نصب له الموت أشراكًا ، تفكر في ارتحالك وأنت على حالك فإن لم تبك فتباكى .

بكيت فما تبكي شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيًا	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يومًا مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه أتطـ	ـمع أن تبقى فلست هناكا ستمضي
ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن باك عيك بكاكا
كأن الذي يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الرابعة والأربعون :

اللعان

قال النبي ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[2] . وقال ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله** » وأخرجه البخاري [3] . وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة** »[4] . وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا** »[5] . وفي الحديث : « **ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذئ** » والبذئ هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلى قائلها** »[6] .

---

(١) الحجرات : ٦ .
(٢) أخرجه الجماعة إلا أبا داود ، من حديث ابن مسعود . . أ هـ ترغيب .
(٣) رواه الجماعة سوى ابن ماجة ، من حديث بان الضحاك . . أ هـ ترغيب .
(٤) من حديث أبي الدرداء ، وكذا أبو داود بدون لفظ « يوم القيامة » كذا في الترغيب .
(٥) رواه مسلم ، من حديث أبي هريرة ، ونحوه عند الحاكم وصححه . . أ هـ ترغيب .
(٦) رواه أبو داود ، من حديث أبي الدرداء . . أ هـ ترغيب ، ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد أفاده المنذري في ترغيبه .

وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « **خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة** » قال عمران : فكأني أنظر إليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد . أخرجه مسلم [1] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم** »[2] . وعن عمرو بن قيس قال : إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بي رفيقًا رحيمًا فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(**فصل**) في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين المعروفين .

قال الله تعالى : ﴿ **ألا لَعْنَةُ الله على الظالمين** ﴾[3] وقال ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** ﴾[4] . وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه** » وأنه قال : « **لعن الله المحلل والمحلل له** » وأنه قال : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة** » . **فالواصلة** : هي التي تصل شعرها ، **والمستوصلة** : هي التي يوصل لها ، **والنامصة** : هي التي تنتف الشعر من الحاجبين ، **والمتنمصة** : التي يفعل بها ذلك ، وأنه ﷺ **لعن** الصالقة والحالقة والشاقة ، **فالصالقة** : هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، **والحالقة** : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة ، **والشاقة** : هي التي تشق ثيابها عند المصيبة . وأنه ﷺ **لعن** المصورين ، وأنه **لعن** من غير منار الأرض ـ أي حدودها ـ وأنه قال : « **لعن** الله من لعن والديه **ولعن** الله من سب أمه » . وفي السنن أنه قال : « **لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ، ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط** » . وأنه **لعن** من أتى كاهنًا أو أتى امرأة في دبرها **ولعن** النائحة ومن حولها **ولعن** من أمّ قومً وهم له كارهون **ولعن** امرأة باتت وزوجها عليها ساخط . **ولعن** رجلا سمع : حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب ، **ولعن** من ذبح لغير الله **ولعن** السارق **ولعن** من سب الصحابة ، **ولعن** المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء **ولعن** المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، **ولعن** المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ، **ولعن** من سل سخيمته علي الطريق ـ يعني : تغوط علي طريق الناس ـ **ولعن** السلتاء ـ والمرأة السلتاء : التي لا تخضب يديها ، والمرأة التي لا تكتحل ـ **ولعن** من خبب امرأة على زوجها أو مملوكًا على سيده ـ يعني أفسدها أو أفسده ـ **ولعن** من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها ، **ولعن** من أشار إلى أخيه بحديدة ، **ولعن** مانع الصدقة ـ يعني الزكاة ـ **ولعن** من انتسب

---

(١) ونحوه عند أحمد ، من حديث أبي هريرة ، وعند أبي يعلي ، وابن أبي الدنيا ، من حديث أنس ، في تخلية سبيل ما لعن بأسانيد جيدة ، كما في الترغيب .

(٢) رواه البزار بإسنادين ، **أحدهما أقوى** ، وهو في بعض نسخ أبي داود بنحوه ، هذا وله شاهد ، من حديث البراء بن عازب عند الطبراني ، ومن حديث سعيد بن زيد ، عند أحمد ، والبزار ، ورجال أحمد ثقات . . أهـ ترغيب ، في موضعين أحدهما : الترهيب من الغيبة والبهت .**والثاني** : الترغيب في صلة الرحم .

(٣) هود : ١٨ .

(٤) آل عمران : ١١ .

إلي غير أبيه أو تولى غير مواليه ، **ولعن** من كوى دابة في وجهها **ولعن** الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم **ولعن** المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، **ولعن** تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه . **ولعن** الفاعل والمفعول به - يعني - اللواط - **ولعن** الخمر ، وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها ، والدال عليها .وقال ﷺ : **« ستة لعنتهم .. لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي »**.**ولعن** الزاني بامرأة جاره **ولعن** ناكح يده **ولعن** ناكح الأم وبنتها ، **ولعن** الراشي والمرتشي في الحكم والرائش - يعني الساعي بينهما - **ولعن** من كتم العلم **ولعن** المحتكر **ولعن** من أخفر مسلمًا - يعني خذله ولم ينصره - **ولعن** الوالي إذا لم يكن فيه رحمة **ولعن** المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج ، والمتبتلات من النساء **ولعن** راكب الفلاة وحده ، **ولعن** من أتى بهيمة .**نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله** .

(فصل) أعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين.

ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : **لعن** الله الظالمين ، **لعن** الله الكافرين ، **لعن** الله اليهود والنصارى ، **لعن** الله الفاسقين ، **لعن** الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم . وأما **لعن** إنسان بعينه مما اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا ، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . أشار الغزالي رحمه الله إلى : تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان الفاسق الكافر . وقال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : **« اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله »** وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر . قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم ، كقول الإنسان : لا أصح الله جسمه ، ولا سلمه الله وما جرى مجراه ، وكل ذلك مذموم . وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم .قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله : إلا أن يكون يستحق ذلك .

(فصل) ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك : ويلك ، أو : يا ضعيف الحال ، أو : يا قليل النظر لنفسه ، أو : يا ظالم نفسه أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجوز إلى الكذب ، ولايكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقًا في ذلك ، وإنما يجوز ما قدمناه وكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ويكون الكلام أوقع في النفس ، والله أعلم . اللهم نزه قلوبنا على التعلق بما دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجيمع المسلمين .

(**موعظة**) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلا على ما يضر تاركا لما يفيد ، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد .

مضى أمسك الماضي شهيدًا معدلاً ... وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلي غد ... فرب غد يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأت وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون :

الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً** ﴾[1] .

قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من عهده .

وقال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** »[2] .

قال الواحدي : قال ابن عباس في رواية الوالبي (العهود) . يعني ما أحل الله وماحرم وما فرض وما حد في القرآن .

وقال الضحاك : بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل الله وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود .

وكذا العهود جمع عهد . (العقد) بمعنى : المعقود ، وهو الذي أحكم بما فرض الله علينا ، فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ **أوفوا بالعقود** ﴾ التي عهد الله إليكم في القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه ، وبالعهود التي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس .

والله أعلم .

وقال النبي ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا**

---

(١) الإسراء : ٣٤ .
(٢) المائدة : ١ .

خاصم فجر » مخرج في الصحيحين[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان** »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره** » أخرجه البخاري[3] .

وقال ﷺ : « **من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » أخرجه مسلم[4] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر** »[5] .

الكبيرة السادسة والأربعون :

تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئولاً** ﴾[6] .

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ .

قال الكلبي : لا تقل ما ليس لك به علم .

وقال قتادة : لا تقل : سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم .

والمعنى : لا تقولن في شيء بما لا تعلم ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان**

---

(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . . أ هـ ترغيب .

(٢) رواه مسلم ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) وكذا رواه ابن ماجة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . . أ هـ ترغيب .

(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) رواه مسلم ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٦) الإسراء : ٣٦ .

عنه مسئولا ﴾ .

قال الوالبي عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيما استعملوها وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز ، والله أعلم .

وقال الله تعالى : **﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إلا مَنِ ارتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾**(1) .

قال ابن الجوزي : **﴿ عالم الغيب ﴾** هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه . **﴿فلا يظهر ﴾** أي : فلا يطلع **﴿ على غيبه ﴾** الذي لا يعلمه أحد من الناس **﴿ إلا من ارتضى من رسول ﴾** لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب .

والمعنى : أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ، ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : **« من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »**(2) .

وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه : **« هل تدرون ماذا قال ربكم »** قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : **« أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ... فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب »** .

قال العلماء : إن قال مسلم : مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرًا مرتدًا بلا شك .

وإن قال مريدًا أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر .

واختلفوا في كراهته والمختار : أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

---

(1) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(2) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، من حديث أبي هريرة ، وفي أسانيدهم كلام ذكره المنذري ، في مختصره لسنن أبي داود ورواه الحاكم .

وقال : صحيح على شرطهما ، وله شاهد من حديث جابر عند البزار بإسناد جيد ، ومن حديث أنس عند الطبراني بسند فيه رشدين بن سعد . . أ هـ ترغيب .

قوله : في أثر سماء : السماء هنا المطر ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « **من أتى عرافًا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يومًا** » رواه مسلم[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناسا عن الكهان فقال : « **ليس بشيئ** » قالوا : يا رسول الله . . أليس قد قالوا كذا وكذا؟

فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه ـ أي يلقيها ـ فيخلط معها مائة كذبة** » مخرج في الصحيحين .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم** » رواه البخاري .

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **العيافة والطيرة والطرق من الجبت** » رواه أبو داود .

وقال : الطرق : الزجر أي زجر الطير وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه ، فإن طار جهة اليمين تيمن وإن طار جهة الشمال تشاءم .

قال أبو داود : العيافة : الخط .

قال الجوهري : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد** » .

وقال علي بن أبي طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة .

(**موعظة**) عباد الله . .

تفكروا في سلفكم قبل تلفكم وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم . فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم .

أين الأقران والإخوان؟ .

أين من شيد الإيوان؟ .

---

(١) رواه مسلم ، من حديث صفية بنت أبي عبيد ، عن بعض أزواج النبي ﷺ .

رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكفان ، هتف نذيرهم بأهل العرفان : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾[1] . تقلبت بهم الأحوال ، ولعب بهم في أيدي الليال ، وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال .

عانقوا التراب وفارقوا الأموال . . فلو أذن لأحدهم في المقال . .

لقال :

من رآنا فليحدث نفسه	أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى بها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردي بالجلال
عمروا رهرًا بعيش ناعم	أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذا الدهر يودي بالرجال

الكبيرة السابعة والأربعون :

نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴾[2] .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف .

وقال عطاء هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية ﴿ **فعظوهن** ﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ﴿ **واهجروهن في المضاجع** ﴾ .

قال ابن عباس : هو يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها .

وقال الشعبي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ﴿ **واضربوهن** ﴾ ضربًا غير مبرح .

---

(١) الرحمن : ٢١ .

(٢) النساء : ٣٤ .

وقال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة ، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله به مما ذكره الله في هذه الآية ﴿ **فإن أطعنكم** ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿ **فلا تبغوا عليهن** ﴾ .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح** »[1] . وفي لفظ : « **فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح** » .

ولفظ الصحيحين أيضًا [2] : « **إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها** » .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** »[3] .

وعن الحسن قال : حدثني من سمع النبي ﷺ يقول : « **أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها** »[4] .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه** »[5] أخرجه البخاري .

ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته .

وقال ﷺ : « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » رواه الترمذي [6] .

---

(١) من حديث أبي هريرة ، وكذا رواه أبو داود والنسائي ، قاله في الترغيب .

(٢) وكذا النسائي ، من حديث أبي هريرة أيضا ، أفاده المنذري .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ، وورواه ابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما من رواية زهير بن محمد ، قاله في الترغيب ، وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه ، وكذا زهير بن محمد .

(٤) رواه أبو الشيخ في ثواب الأعمال من الأعمال من حديث أنس ، زاد في آخره : « وعن بعلها كيف عملت إليه » . . أهـ منتخب كنز العمال .

(٥) من حديث زبي هريرة ، وكذا مسلم وغيرهما .

(٦) من حديث أبي هريرة ، وقال : حسن صحيح وله شاهد من حديث عائشة ، عند ابن ماجة ، وقيس بن سعيد عند أبي داود ، وابن أبي أوفى ، عند ابن ماجة وابن حبان ومعاذ عند الحاكم ، أفاده في الترغيب .

وقالت عمة حصين ابن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « **انظري من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك** » أخرجه النسائي .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** »[1] .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب** »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** »[3] .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبي ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور** » .

قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضًا أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغتسل لقول الله تعالى : ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن** ﴾[4] أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن .

قال ابن قتيبة : يطهرن : ينقطع عنهن الدم فإذا تطهرن أي اغتسلن بالماء ، والله أعلم .

ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « **من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد** »[5] .

وفي حديث آخر : « **ملعون من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها** » .

---

(١) رواه النسائي بإسناد صحيح ، قاله المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر ، وزاد في الترغيب البزار ، والحاكم وصححه .

(٢) رواه الطبراني من حديث ابن عباس ، وأشار المنذري لضعفه ولفظه : « ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » . . أ هـ ترغيب .

(٣) رواه ابن ماجة ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، كلهم من حديث مساور الحميري ، عن أمه ، عن أم سلمة . . أ هـ ترغيب .

(٤) البقرة : ٢٢٢ .

(٥) رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث طلق ابن علي . . أ هـ ترغيب .

والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض أو النفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك .

وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟ فقالت : اسمع يا هذا . . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يا معشر النساء . . لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : « .. **ونساؤكم من أهل الجنة : الودود التي إذا أذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذوق غمضًا حتى ترضى** »[1] .

ويجب على المرأة أيضًا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه والابتعاد عن جميع ما يسخطه والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته وطيب الرائحة وتعهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها الغيبة وإكرام أهله وأقاربه وترى ا لقليل منه كثيراً .

(فصل) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها لقول النبي ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة** »[2] .

وفي الحديث أيضًا : « **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت بعلها فلتدخل الجنة من أي أبواب الجنة شاءت** »[3] .

---

(١) رواه الطبراني من حديث أنس ، ورواته محتج بهم في الصحيحين إلا إبراهيم ابن زياد القرشي ، لم يقف المنذري فيه علي جرح ولا تعديل ، قال : وقد روي هذا المتن ، من حديث ابن عباس ، وكعب بن عجزة ، وغيرهما . . أ هـ ترغيب .

(٢) تقدم تخريجه آنفا .

(٣) رواه أحمد ، والطبراني ، من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ : « **قيل لها ادخلي الجنة من أي** أبواب الجنة شئت » ، ورواه أحمد ، ورواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة ، **وحديثه حسن في** المتابعات . . أ هـ ترغيب .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « **يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله تعالى إلى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير أذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع** » .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضًا قال : « **أربع من النساء في الجنة وأربع في النار فاللواتي في الجنة فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه**[1] **والرابعة امرأة مات زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتي في النار من النساء فامرأة بذيئة اللسان على زوجها - أي طويلة اللسان - فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانه والثانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق ، و الثالثة امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة ، والرابعة امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها** » .

فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله تعالى .

وقال النبي ﷺ : « **اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء** »[2] وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ : « **المرأة عورة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان** » .

وأقرب ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضًا : « **المرأة عورة فاحبسوها في البيوت فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضًا أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها** » .

---

(١) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة .

(٢) مخرج في الصحيحين ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال علي رضي الله عنه لزوجه فاطمة رضي الله عنها : يا فاطمة . . ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها .

وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحيون . . ألا تغارون . . يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها .

وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يومًا عند النبي ﷺ جالستين فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه فقالتا : يا رسول الله : أليس هو أعمى ولا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : « **أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه** »[1] .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : إن خير ما للمرأة ألا ترى الرجال ولا يروها . فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها وتغض بصرها وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية ، وقد حكي أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا وكانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديدا فقلت له : فداك أبي وأمي يا رسول الله . . ما الذي أبكاك؟ قال : « **يا علي .. ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثديها ،**

---

(١) رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي وقال : حسن صحيح من حديث نبهان مولى أم سلمة ، قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب . . إلخ . قال أبو داود : هذا لأزواج النبي خاصة ألا ترى إلى إعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي ﷺ : « اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده ، قال الحافظ في التلخيص : وهذا جمع حسن ، وبه جمع المنذري في حواشيه ، واستحسنه شيخنا ـ يعني العراقي ـ أ هـ من سنن أبي داود ، وشرحها عون المعبود .

ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثديها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير ، وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة كلب والنار تدخل في فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار » .

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقرة عيني . ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال ﷺ : **« يا بنية .. أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة . وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة ، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة»** .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: **« لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله .. ويابنية [1] الويل لامرأة تعصي زوجها »**[2] .

(فصل) وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضًا مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدوا منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى : **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾**[3] .

ولقول النبي ﷺ : **« استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم .. ألا إن لكم على نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون »**[4] .

---

(١) قوله : يا بنية . . الويل . . إلخ ليس من حديث معاذ ، ولعله من حديث علي وفاطمة السابق .

(٢) رواه ابن ماجة والترمذي ، وقال : حديث حسن وآخره بعد قوله : « قاتلك الله : فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

(٣) النساء : ١٩ .

(٤) رواه ابن ماجة والترمذي وقال : حسن صحيح ، وهو من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع . . إلخ . أهـ ترغيب.

وقوله ﷺ : « **عوان** » أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير . وقال ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله** »[1] .

وفي رواية : « **خيركم ألطفكم بأهله** » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء .

وقال ﷺ : « **إيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون** » .

وقد روي أن رجلا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعًا وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه موليًا عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها عليّ ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر : يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي : إنها طباخة لطعامي وخبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك كله واجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا احتملتها لذلك ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين . . . وكذلك زوجتي، قال عمر : فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة .

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة فجاء لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه ، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها فأكل مع أخيه شيئًا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثاني جاء

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها ، وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجة والحاكم وصححه ، ومن حديث أبي هريرة عند الترمذي وابن حبان ، وصححه الترمذي . . أ هـ ترغيب .

أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب . فقالت امرأته : من بالباب؟ قال : أخو زوجك في الله فلان فقالت : مرحبًا بك وأهلا وسهلا اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية ، قال : فتعجبت من لطف كلامها وأدبها إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضًا من ذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما وجعلت تدعوا لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخي . . أخبرني عما أريد أن أسألك عنه ، قال : وما هو يا أخي ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرًا ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفًا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال : يا أخي . . توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرًا على خلقها وما يبدوا منها كنت معها في تعب وأنا احتملها فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها ، واحتمالي لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة .

فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الثامنة والأربعون :

التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف و غير ذلك والأمر بإتلافها

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾[1] .

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم** » مخرج في الصحيحين .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي

(١) الأحزاب : ٥٧ .

بروام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « **يا عائشة .. أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل** » قالت عائشة رضي الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج في الصحيحين .

(القرام بكسر القاف وهو الستر والسهوة كالصفة تكون بين يدي البيت) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب في نار جهنم** » مخرج في الصحيحين .

وعنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبدًا** »[1] .

وعنه ﷺ أنه قال : « **يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة** » مخرج في الصحيحين .

وقال ﷺ : « **يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : إني وكلت بثلاثة : بكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين** »[2] . وقال رسول الله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة** » مخرج في الصحيحين .

وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب** » .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب** » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب .

وقد قيل : إنه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة فإن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .

---

(١) رواه البخاري ، وفيه قصة . . أهـ ترغيب .

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال : حسن صحيح . . أهـ ترغيب .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء[1] .

وأما الكلب فهو أن يقتني كلبًا لا لزرع ولا لضرع أو لصيد فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه في بعض الأمور أو لحراسة دار إذا اضطر إليه فلا حرج عليه إن شاء الله .

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح سواء أكانت لها أشخاص منتصبة أو منقوشة في سقف وجدار أو موضوعة في نمط أو منسوجة في ثوب أو مكان ، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب . **وبالله التوفيق .**

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها .

روى مسلم في صحيحه[2] عن حيان بن حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ : « **أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته** » .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والأربعون :

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** » .

وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « **أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة** » .

الصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة ، **والحالقة** : التي تحلق شعرها وتنتفه عند

(١) رواه الترمذي وأعله .

(٢) وكذا أبو داود والترمذي ، وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدي .

المصيبة ، **والشاقة** : التي تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة ألا ننوح . رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت »** رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة رواه أبو داود .

وعن أبي بردة قال : وجع أبو موسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال : أنا برئ مما برئ منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة[1] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه وتقول : واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئا إلا قيل لي : أنت كذا أنت كذا؟ . أخرجه البخاري[2] .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **« الميت يعذب في قبره بما نيح عليه »** .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : وا سيداه وا جبلاه وا كذا وا كذا ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت ؟ . أخرجه الترمذي[3] .

وقال ﷺ : **« النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »** [4] .

وقال ﷺ : **« إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة ولهو ولعب**

---

(١) رواه البخاري ، وابن ماجة ، والنسائي ، وكذا في الترغيب .
(٢) وزاد : فلما مات لم تبك عليه . . أ هـ ترغيب .
(٣) وقال : حديث حسن غريب ، وكذا رواه ابن ماجة . . أ هـ ترغيب .
(٤) رواه مسلم ، وابن ماجة ، من حديث أبي مالك الأشعري .

ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في جيوب ورنة شيطان » .

وقال الحسن : صوتان ملعونان : مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة .

وقال رسول الله ﷺ : **« إن هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب »**[1] .

وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال : اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكي بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب ، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام .

روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا ، فقال : **« ألا تسمعون... إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم »** وأشار إلى لسانه .

وروينا في صحيحهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعد : ما هذا يا رسول الله؟ قال : **« هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »** .

وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « يا ابن عوف . . إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، من حديث أبي هريرة وأشار المنذري في الترغيب إلى ضعفه .

فقال : **« إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا مايرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون »** .

وأما الأحاديث الصحيحة : أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها به هي مؤولة . واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها ، والله أعلم : أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : **« فإذا وجبت فلا تبكين باكية »** وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتأولوا حديث فلا تبكين باكية .

(فصل) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجذع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمروا بالصبر والاحتساب ونهيا عن الجزع والتسلط قال الله تعالى : **﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾**(1) .

قال عطاء : عن ابن عباس يقول : إني معكم أنصركم ولا أخذلكم وقال الله تعالى : **﴿ ولنبلونكم ﴾** (2) أي لنعاملنكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي فمن صبر أثابه الله على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب .

وقول الله : **﴿ بشيء من الخوف والجوع ﴾** (2) قال ابن عباس : يعني خوف العدو والجوع يعني المجاعة والقحط **﴿ ونقص من الأموال ﴾**(2) يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي **﴿ والأنفس ﴾** (2) بالموت والقتل والمرض والشيب **﴿ والثمرات ﴾** (2) يعني الحوائج وألا تخرج ثمرة كما كانت تخرج . ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : **﴿ وبشر الصابرين ﴾** (2) ثم نعتهم فقال : **﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾** (3) أي نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فما أصيب بخير مصيبة **﴿ قالوا إنا لله ﴾** (3) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء : **﴿ وإنا إليه راجعون ﴾** (3) بالهلاك والفناء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى

---

(1) البقرة : ١٥٣ .

(2) البقرة : ١٥٥ .

(3) البقرة : ١٥٦ .

انفراده بالحكم إذ قد ملك في الدنيا قوما الحكم فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **« ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها »** رواه مسلم(١) .

وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : **« من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب »** (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : **« إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون نعم . فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد »**(٣) .

وعن رسول الله ﷺ قال : **« يقول الله تعالى : ما لعبدي عند جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة »** رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : **« من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى »** .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها .

فيقول ملك الموت عليه السلام : م هذا الجزع وم هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئا ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم علي فإني والله مأمور وإن كان على ميتكم فإنه مقهور وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وإن لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا . قال رسول الله ﷺ : **« والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم »** .

---

(١) كذا وشاهده عندهما من حديث أبي سعيد الخدري كما أفاده في الترغيب .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ، وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره . . أهـ مجمع الزوائد .

(٣) رواه الترمذي ، وابن حبان ، وقال الترمذي : حسن غريب . . أهـ ترغيب .

(**فصل في التعزية**) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « **من عزى مصابا فله مثل أجره** » رواه الترمذي[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « **من عزى ثكلى كسي بردًا من الجنة** » رواه الترمذي[2] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « **ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به** »[3] .

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : « **ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة** »[4] .

واعلم رحمك الله . . أن التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[5] وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

واعلم أن التعزية هي الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن وبعده ، قال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام .

قال أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قال الجماهير من أصحابنا .

وقال أبو العباس ـ من أصحابنا ـ لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناها أصحابنا وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام .

(١ , ٢) وقال في كليهما : حديث غريب ، وزاد في الأول أنه روي موقوفا . . الترغيب .

(٣) رواه أبو داود ، والنسائي بسند فيه ربيعة بن سيف تابعي من أهل مصر ، فيه كلام لا يقدح في حسن الإسناد . . أ هـ ترغيب .

(٤) رواه ابن ماجة وسكت عليه المنذري في ترغيبه .

(٥) المائدة : ٢ .

والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ؛ لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ؛ ولأن وحشتهم بعد الدفن لفراقه أكثر ، هذا إذا لم ير منهم جزعا ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعني أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية .

ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزي به ما روينا في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : **« ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب »** وذكر تمام الحديث .

قال النووي رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصل الدين وفروعه والآداب والصبر على النوازل كلها والهموم والأسقام وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : **« إن لله ما أخذ »** : أن العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو آخذ ما له عندكم في معنى العارية .

وقوله : **« وله ما أعطى »** : ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شئ عنده بأجل مسمى » . فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه ، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم والله أعلم .

وعن معاوية بن إياس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه فقالوا : يا رسول الله . . ابنه الذي رأيته هلك ، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال : **« يا فلان . . أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك »** ؟ فقال يا نبي الله . . يسبقني إلى الجنة يفتحها لي أحب إلي ، قال : **« فذلك لك »** فقيل : يا رسول الله . . هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : **« بل للمسلمين**

عامة »[1] .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها : « **يا أمة الله .. اتقي الله واصبري** »[2] قالت : يا عبد الله إني أنا الحرى الثكلى ، قال : « **يا أمة الله .. اتقي الله واصبري** » قالت : يا عبد الله لو كنت مصابًا عذرتني ، قال : « يا أمة الله : اتقي الله واصبري » قالت : يا عبد الله قد أسمعتني فانصرف ، قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها : ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها أتعرفينه؟ قالت : لا والله ، قال : ويحك . . ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته فقالت : يا رسول الله أصبر ، قال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » . أي إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعا .

وفي صحيح مسلم : مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة . . أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم . . ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . . قالت أم سليم : فاحتسب ابنك ، قال فغضب أبو طلحة فقال : تركتيني حتى إذا تلطخت أخبرتيني بابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : « **بارك الله لكما في ليلتكما** » فذكر الحديث .

وفي الحديث : « **ما أعطى أحد عطاء خير وأوسع من الصبر** » [3] .

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا وإلا سلوت كما تسلو البهائم .

---

(١) رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه باختصار . . أهـ ترغيب .

(٢) رواه أبو يعلي في مسنده ، من حديث أبي هريرة وأبي موسى ، وفي سنده بكر بن الأسود الناجي وهو ضعيف ، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ، قلت : وأصله في الصحيحين من حديث أنس مختصراً وصاحبه أبو هريرة لا أبو موسى ، كما في الهيثمي وفتح الباري في شرح حديث أنس : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » في كتاب الجنائز من صحيح البخاري .

(٣) رواه البخاري ضمن حديث طويل . . أهـ ترغيب .

وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة فقال : إنك قد ذهب منك ما قد رزئت به فلا يذهبن عنك ما روضت عنه وهو الأجر .

وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام .
قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعا شديدا فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي . . عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطالبه وقد نأى عنك ، ألهمكَ الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة   من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته   ولا المعزي ولو عاش إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه :

أما بعد . . فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فإذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة ، وأحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وعزى رجل رجلاً فقال : إن من كان لك في الآخرة أجرا خير ممن كان في الدنيا سرورا وفرحا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر فقيل له أتضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان .

وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالصبر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم .

وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه : إني أعلم خير خلة ، قيل : وما هي ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن : أكان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم . . كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائبا فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه ، فقال يا أبا سعيد . . هونت علي وجدي على ابني .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يا بني . . كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق ، قال : يا بني . . لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون ميزانك ، قال : يا أبت . . لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

ومات ابن للإمام الشافعي فأنشد يقول :

رما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة إلا أنه قال : ﴿ قد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ [1] وتمثل بهذه الأبيات :

لعمري ما أهويت كفي لريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأي عليها ولا عقلي

واعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال رضي الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقيت عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضوا وأبقيت أعضاء وأخذت ابنا وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي ، وكان البعير صعبا فند ـ أي شرد ـ فاتبعته فما جاوزت الصبي إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبي في بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحني برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني فأصبحت لا أهل ولا مال ولا ولد ولا بعير ، فقال الوليد انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الأرض أشد منه بلاء .

---

(١) الكهف : ٦٢ .

وذكر أن عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم إني أستعين بك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وقال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن وجها منها فقلت : تالله . . إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله . . إني لبدع أحزان وخلف هموم ، وسأخبرك : كان لي زوج وكان لي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة ؟ فقال : نعم . . فذبحه . فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشا فأفردني الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من كان له فرطان[1] من أمتي دخل الجنة»**[2] يعني ولدين .

قالت عائشة رضي الله عنها : بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : **«ومن كان له فرط يا موفقة»** قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : **«أنا فرط أمتي : لم يصابوا بمثلي»** .

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن أبيه[3] قال : قال رسول الله ﷺ : **«من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار»** .

فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال : **«واثنين»** .

قال أبي بن كعب ـ سيد القراء ـ : قدمت واحدا قال ﷺ **«وواحد ولكن ذلك في أول صدمة»** .

وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربي ابن وكان له أحد عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئا كثيرا فمات ، فجئت أعزيه فقال لي : كنت أشتهي موت

---

(١) الفرط بفتح الفاء والراء : الذي مات قبل البلوغ ذكرا كان أو أنثى وجمعه أفراط . . أهـ منذري .
(٢) رواه الترمذي ، وقال : حسن غريب . . أهـ ترغيب .
(٣) عبد الله بن مسعود ، والحديث أخرجه ابن ماجة ، وأشار المنذري في الترغيب إلى ضعفه وليس في آخره قوله : «ولكن ذلك في أول صدمة .

ابني هذا قلت يا أبا اسحاق . . أنت أعلم الدنيا تقول مثل هذا! . . قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث ؟ قال نعم . . رأيت في المنام كأن يوم القيامة قد قامت وكأن صبيانا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوم حار شديد حره .

قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء . قال فنظر إلي وقال لي : ليس أنت أبي ، فقلت : ومن أنتم؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

وروى مسلم بن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضي الله عنه : حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا .

قال : نعم . . صغارهم دعاميص [1] الجنة يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال : أبويه ـ فيأخذ بثوبه ـ أو قال بيده ـ فلا ينتهي حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت في أول أمريء مكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتا فأحببتها حبا شديدا إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي ، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها .

قال : فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف فقلت : يا شيخ . . بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وإهلاكي ، فقال : يا ولدي . . أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه ، قال فأسرعت في الهرب وهو ورائي فأشرفت على طبقات النار وهي تفور فكدت أن أهوي فيها ، وإذا قائل يقول : لست من أهلي فرجعت هاربا والتنين في أثري فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول :

---

(١) دعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها : دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون في الغدرات إذا نشفت شبه بها الطفل في الجنة لصغر سنه وسرعة حركته .
وقيل : اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم ، شبه به الطفل لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء لا يمنع من بيت فيها ولا موضع . . أ هـ ترغيب .

أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه ، ففتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرفت منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتي معهم فلما رأتني نزلت إلى كفة من نور وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا ، وجلست في حجري وقالت : يا أبت : **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾**[1] فقلت : يا بنية . . وأنتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية . . ما تصنعون ههنا؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا . فقلت : يا بنية . . ماهذا التنين الذي يطاردني ويريد إهلاكي ؟ قالت : يا أبتي . . ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عني واستيقظت ، فتبت إلى الله من ساعتي .

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارا ذكروا كانوا أو إناثا وإنما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا صبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : **﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله﴾**[2] أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء **﴿وإنا إليه راجعون﴾**[2] إقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما أصاب عبدًا مصيبة إلا بإحدى خلتين : إما ذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة »** .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾** ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول : **﴿ يا أسفى على يوسف ﴾**[3] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من قال عند المصيبة : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله وأخلف له خيرا منها »** ، قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت : من خير من أبي سلمة ؟ ثم

---

(١) الحديد : ١٦ .
(٢) البقرة : ١٥٧ .
(٣) يوسف : ٨٤ .

قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ ، رواه مسلم .

وعن الشعبي أن شريحا قال : إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات ، أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني وقوله : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾[1] الصلوات من الله : الرحمة والمغفرة ﴿ **وأولئك هم المهتدون**﴾[2] يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل : إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ نعم العدلان ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ نعم العلاوة .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدا أو شق جيبا أو نشر شعرا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روى أيضا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روي أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أ وشق جيبا أو نتف شعرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا ـ يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعني من الندب والنياحة ـ وقد تقدم أن الميت يعذب في قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة : وا ضداه وا ناصراه وا كاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى .

(**حكاية**) قال صالح المري : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا ونزلت عليهم أطباق مغطية وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم ، قال : فتقدمت إليه وقلت : يا شاب . . ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح . . بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتي لعل الله عز وجل أن يجعل لي على يديك مخرجا . . إني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علي وينحن كل يوم فأنا معذب بذلك النار

(١ , ٢) البقرة : ١٥٧ .

عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي فلا جزاها الله عني خيرا ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ، ثم قال يا صالح . . بالله عليك اذهب إليها فهي في المكان الفلاني - وعلم لي المكان - وقل لها لم تعذبي ولدك يا أماه . ربيتيني ومن الأسواء وقيتيني فلما مت في العذاب رميتيني ، يا أماه . . لورأيتيني : الأغلال في عنقي والقيد في قدمي وملائكة العذاب تضربني وتنهرني ، فلو رأيتي سوء حالي لرحمتيني وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء .

قال صالح : فاستيقظت فزعا ومكثت في مكاني قلقا إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم الصبي الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار ، فطرقت الباب فخرجت إلي عجوز فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت أريد أم الشاب الذي مات ، فقالت : وما تصنع بها ؟ . . هي مشغولة بحزنها ، فقلت : أرسليها إلي ، معي رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها فخرجت أم عليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المري . جري لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته في العذاب وهو يقول : يا أمي ربيتيني ومن الأسواء وقيتيني فلما مت في العذاب رميتيني ، وإن لم تتركي ما أنت عليه بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بكت بكاء شديدا وقالت :

يا ولدي . . يعز علي ذلك ولو علمت بحالك ما فعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت إلي كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت : يا صالح . . تصدق بهذه عن ولدي ، قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت ، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم وأتتهم الأطباق وإذا ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضا طبق فأخذه فلما رآني جاء إلي فقال : يا صالح . . جزاك الله عني خيرًا خفف الله عني العذاب وذلك بترك أمي ما كانت تفعل وجاءني ما تصدقت به عني ، قال صالح فقلت : وما هذه الأطباق؟ فقال : هذه هدايا الأحياء **لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل** عليهم كل ليلة جمعة ، يقال له : **هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمي وأقرئها مني**

السلام وقل لها : جزاك الله عني خيراً ، قد وصل إلي ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدي . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب وإذا بنعش موضوع على الباب .

فقلت : لمن هذا؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويعصمنا من النار .

إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

الكبيرة الخمسون :

البغـــي

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « **إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد** » رواه مسلم[2] .

وقال ﷺ : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[3] .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ **إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم** ﴾[4] إلى قوله : ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾[5] الآية . .

قال ابن الجوزي رحمه الله في بغي قارون أقوال :

---

(١) الشورى : ٤٢ .

(٢) رواه أبو داود ، وابن ماجة ، من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه . . أ هـ ترغيب .

(٣) رواه ابن ماجة ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث أبي بكر . . أ هـ ترغيب .

(٤) القصص : ٧٦ .

(٥) القصص : ٨١ .

أحدها : أنه جعل للبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه بغى بالكفر بالله عز وجل ، قاله الضحاك .

والثالث : بالكفر ، قاله قتادة .

والربع : أنه أطال ثيابه شبرا ، قاله عطاء الخراساني .

والخامس : أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل فظلمهم ، حكاه الماوردي .

قوله : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ الآية . . لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه : إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا أرض . . خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم فقال : يا أرض . . خذيه حتى غيبت قدميه فما زال يقول : يا أرض خذيه حتى غيبته ، فأوحى الله إليه : يا موسى . . وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته ، قال ابن عباس : فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى ، قال سمرة بن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل : إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بماله وداره بعد ثلاثة أيام . ﴿**فما كان له فئة ينصرونه من دون الله** ﴾[1] أي يمنعونه من الله ﴿ **وما كان من المنتصرين**﴾[2] أي من الممتنعين مما أنزل الله به ، والله أعلم .

اللهم إنك إذا قبلت سلمت وإذا أعرضت أسلمت وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت أنهمت .

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك واغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين . . آمين .

---

(١) القصص : ٨١ .
(٢) القصص : ٨١ .

الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم فقال تعالى : ﴿واعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمسَاكِينِ والجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[1] .

قال الواحدي في قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ : أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال : « **يا معاذ** » قلت لبيك وسعديك يا رسول الله ، قال : « **هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله** » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا** »[2] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فقال : يا نبي الله . . أوصني ، قال : « **لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت ولا تدعن الصلاة لوقتها فإنها ذمة الله ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر** »[3] .

قوله : ﴿ **وبالوالدين إحسانا** ﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي سيده تذللا لهما .

---

(١) النساء : ٣٦ .

(٢) هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة .

(٣) ذكر المنذري في ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند أحمد والطبراني قال : وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن ابن جبير بن نفير ومعاذ فإنه لم يسمع منه .
ومنها حديث عند الطبراني في الأوسط ولا بأس بإسناده في المتابعات ، وحديث أميمة مولاته حتى عند الطبراني بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوي ، وحديث أبي الدرداء عند ابن ماجة ، والبيهقي بسند فيه شهر بن حوشب . . أ هـ ترغيب .

وقوله : ﴿ وبذي القربى ﴾ قال : يصلهم ويتعطف عليهم ﴿ واليتامى ﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ﴿ والمساكين ﴾ ببذل يسير ورد جميل ﴿والجار ذي القربى ﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ﴿ والجار الجنب ﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب إذا كان غريبا متباعدا أهله وقوم أجانب ـ والجنابة البعد ـ

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** »[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول : يا رب أوسعت على أخي هذا وقترت علي ، أمسي طاويا ويمسي هذا شبعان سله لما أغلق بابه عني وحرمني ما قد وسعت به عليه** » . ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ .

قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة ﴿ وابن السبيل ﴾ هو الضعيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ ما حيث يريد .

وقال ابن عباس : هو عابر السبيل تؤيه وتطعمه حتى يرحل عنك ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطىء .

وقوله : ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً ﴾ قال ابن عباس : يريد بالمختال : العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله .

والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالا فخوراً إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة** » .

---

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجة ، من حديث عائشة ، ورواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث ابن عمر ، ورواه أحمد بإسناد جيد ، ورواته رواة الصحيح من حديث رجل من الأنصار . . أ هـ ترغيب .

وعن أسامة بن زيد قال سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » . هذا ماذكره الواحدي[1] .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول : « **الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم** »[2] .

وفي الحديث : « **حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم** » ، وقال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة سيئ الملكة** »[3] .

قال أبو مسعود رضي الله عنه : كنت أضرب مملوكًا لي بالسوط فسمعت صوتا من ورائي : « **اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » ، قال قلت : يا رسول الله : لا أضرب مملوكًا لي بعده أبدًا . وفي رواية : سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ .

وفي رواية : فقلت : هو حر لوجه الله ، فقال : « **أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة** » رواه مسلم .

وروى مسلم أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه** » .

ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا** » .

وفي الحديث : « **من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة** »[4] . وقيل لرسول الله ﷺ : كم نعفو عن الخادم ؟ قال : « **في اليوم سبعين مرة** »[5] .

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي .

(٢) رواه أبو داود ، وابن ماجة ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود عن بعض بني رافع بن مكيث عنه ، ولم يسمعه منه ، ورواه أبو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبي مرسلا . . أ هـ ترغيب .

(٤) رواه البزار ، والطبراني بإسناد حسن . . أ هـ ترغيب .

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن غريب في بعض النسخ والترمذي حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر . . ا . هـ ترغيب .

وكان في يد النبي ﷺ يوما سواك فدعا خادما له فأبطأ عليه فقال : « **لولا القصاص لضربتك بهذا السواك** »[1] .

وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوما عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله . . . . إني قلت لأمتي : يا زانية ، قال : « **وهل رأيت عليها ذلك** » ؟ ، قالت : لا ، قال : « **أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة** »[2] فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت : اجلديني فأبت الجارية ، فأعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقها فقال : « عسى » أي عسى أن يكفر عتقها لها ما قذفتها به .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من قذف مملوكه وهو بريء مما قاله جلد يوم القيامة حدا إلا أن يكون كما قال** » [3] .

وفي الحديث : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق »[4] .

وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « **الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم** »[5] .

---

(١) رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد ، والطبراني كلاهما من حديث أم سلمة .

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وتعقبه المنذري بأن فيه عبد الملك بن هارون متروك ، وفيه أن عبد الله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها . . إلخ بنحو مما هنا .

(٣) من حديث أبي هريرة وكذا روايات وقال : حديث حسن صحيح . . أهـ ترغيب .

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، وزاد ابن حبان في صحيحه : وقال : « فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله فإنهم خلق أمثالكم » . . أهـ ترغيب .

(٥) روى الطبراني نحوه من حديث زيد بن حارثة ، وفي سنده عاصم بن عبد الله مشاه بعضهم ، وصحح له الترمذي والحاكم ، ولا يضر في المتابعات ، قاله المنذري في الترغيب ، وله شاهد من حديث علي عند أبي داود ، وعن أم سلمة عند ابن ماجة بسند ضعيف ، ومن حديث كعب بن مالك عند الطبراني من طريق عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، وقد وثقاه ، ولا بأس بهما في المتابعات .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ .

فقال رضي الله عنه : إنا أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر .

وقال بعض السلف : لا تضربِ المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره بالذنوب التي بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** »[1] .

وقال علي كرم الله وجهه : وهب لي رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعت أحدهما فقال رسول الله ﷺ : « **رده ، رده** » وفي الحديث : « **للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف** » .

ويقول رسول الله ﷺ : « **كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته** »[2] ومن ذلك أن يضرب الدابة ضربا وجيعا أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها أو يحملها فرق طاقتها .

فقد روي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾[3] الآية . .

قيل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى أنه ليؤخذ من الشاة الجلحاء للشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم : كونوا ترابا فهنالك يقول الكافر : ﴿ **يا ليتيني كنت ترابا** ﴾[4] .

وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بني آدم حتى أن الإنسان لو

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي أيوب ، وقال : حديث حسن غريب ، والدار قطني ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٢) رواه مسلم ، من حديث عبد الله ابن عمرو . . أ هـ ترغيب .
(٣) الأنعام : ٣٨ .
(٤) النبأ : ٤٠ .

ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعا لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»** أي من حشراتها .

وفي الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام في سائر الحيوان .

وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **« بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث »**[1] فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثة فرفع رأسه ونظر إلي وقال : يا أبا سليمان . . . هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر ، قال : فقلت : لا أضرب شيئا بعده أبدا .

ومر ابن عمر بصبيان من قريش نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا . .

إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا[2]. والغرض الهدف وما يرمى إليه .

ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعني أن تحبس للقتل .

وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور قتله بأول

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما . . أ هـ ترغيب .

(٢) رواه مسلم ، من حديث ابن عمر . . أ هـ ترغيب .

دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام : « **إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** »[1] .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما** »[2] .

قال ابن مسعود كنا مع رسول الله في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة [3] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف فجاء النبي ﷺ وقال : « **من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها** » .

ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل ـ أي مكان النمل ـ قد أحرقناها فقال : « **من حرق هذه** » ؟ قلنا : نحن .

فقال عليه الصلاة والسلام : « **إنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا ربها** » .

وفيه النهي عن القتل بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما .

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثا لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قتل عصفوراً عبسا عج إلى الله يوم القيامة وقال : يا رب سل هذا لم قتلني عبسا ولم يقتلني لمنفعة؟** »[4] .

---

(١) رواه مسلم ، والترمذي في جامعه ، من حديث شداد بن أوس ، وقال : حديث حسن صحيح ، كذا في الأطراف للمزي ، وقال في المنتقى : رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٢) يعني صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ويفيد كلام العسقلاني في الفتح أنه في الترمذي وأبي داود .

والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما : هبار بن الأسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت ، والقصة مشهورة في ابن إسحاق ، أفاده العسقلاني في شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح .

(٣) رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله أي ابن مسعود ، والحمرة طائر صغير كالعصفور .

(٤) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والحليلة بفتح الحاء المهملة : هي الزوجة .

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك في الأثر .

ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال : ذبح رجل عجلا بين يدي أمه فأيبس الله يده .

(فصل) في فضل عتق المملوك . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضوا من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه»** أخرجه البخاري .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«أيما امرئ مسلم أعتق امرءا مسلما كان فكاكا له من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضوين منهما عضوا منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فكاكها من النار يجزي الله كل عضو منها عضوا منها»** رواه الترمذي وصححه .

واللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

الكبيرة الثانية والخمسون :

أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»** .

قيل : من يا رسول الله ؟ قال : **«من لا يأمن جاره بوائقه»**(١) أي غوائله وشروره ، وفي رواية : **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**(٢) .

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : **«أن تجعل لله ندا**

---

(١) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الشريد رضي الله عنه .

(٢) من حديث أبي هريرة ، وكذا أحمد وزاد قالوا : يا رسول الله . . وما بوائقه ؟ قال : «شره» . . أ هـ ترغيب .

وهو خلقك وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وأن تزني بحليلة جارك »[1] .

وفي الحديث : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره »**[2] .

والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة وجار مسلـم له حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر[3] رضي الله عنهما له جار يهودي فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودي منها .

وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ويقول : يا رب سل هذا لم منعني معروفة وأغلق عني بابه[4] .

وينبغي للجار أن يحتمل أذى الجار فهو من جملة الإحسان إليه .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . . . دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة . فقال : **« كن محسنا »** فقال : يا رسول الله . . . كيف أعلم أني محسن؟ قال : **« سل جيرانك فإن قالوا : إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا : إنك مسيئ فأنت مسيئ »** ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **« من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »**[5] .

---

(١) هي لمسلم من رواية أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث أبي هريرة . . أ هـ ترغيب ، وبقيته في إكرام الضيف والسكوت خير . . أ هـ منه .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، وقال في آخره : سمعت رسول الله ص يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » قال المنذري : وقد روى هذا المتن ـ يعني المرفوع ـ من طرق كثيرة ، وعن جماعة كثيرة من الصحابة . . أ هـ ترغيب .

(٤) رواه المنذري في الترغيب من حديث ابن عمر ، وأشار إلى ضعفه .

(٥) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته : « أتدري ما حق الجار ؟ إذا استعانك أعنته ، وإذا استقرضك أقرضته ، وإذا افتقر عدت عليه ، وإذا مرض عدته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها=

وقيل : لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره .

وفي سنن أبي داود عن رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له : « **اذهب فاصبر** » فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال : « **اذهب فاطرح متاعك على الطريق** » ففعل فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه فجاء إليه الجار وقال : يا أخي . . ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبدًا [1] .

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذميا .

فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنه كان له جار ذمي وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذا الحال زمنا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى جاره المجوسي وقال له : أدخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة ، فقال : ما هذا الذي أرى ؟ .

قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرني أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلا لما أخبرتك فافعل ما ترى . فقال المجوسي : أيها الشيخ . . أنت تعاملني بهذه المعاملة من زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ . مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال وأن يحسن عاقبتنا إنه كريم رؤوف رحيم .

= ولدك ليغيظ بها ولده » قال المنذري : ولعل قوله : « أتدري ما حق الجار . . » إلخ من كلام الراوي غير مرفوع .

والحديث على كل أشار المنذري إلى ضعفه بقوله في أوله : «وروي » وهي إحدى علامات الضعف عنده ، وسكت عليه في آخره ، وهي العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .

(١) رواه مسلم والترمذي في حديث لأبي هريرة . . أ هـ ترغيب .

اذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : ﴿ والَّذينَ يُؤذُون المُؤمنينَ والمُؤمنَات بِغَيرِ مَا اكتسبُوا فَقَد احتملُوا بُهتَانًا وإثمًا مُبينًا ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسَى أن يكُونُوا خَيرًا منهُم ولا نسَاءٌ من نسَاء عسى أن يكنَّ خَيرًا منهُنَّ ولا تَلمِزُوا أنفُسكُم ولا تَنَابَزُوا بالألقَابِ بِئسَ الاسمُ الفُسُوقُ بَعدَ الإيمَانِ ومَن لم يَتُب فَأُولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(2) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تَجَسَّسُوا ولا يَغتَب بَعضُكُم بَعضًا ﴾(3) .

وقال ﷺ : « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس ـ أو تركه الناس ـ اتقاء فحشه »(4) .

وقال ﷺ : « عباد الله .. إن الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك » .

وفي الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(5) وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »(6) .

وفيه أيضا : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(7) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله . . إن فلانة تصلي الليل

---

(1) الأحزاب : 58 .

(2) الحجرات : 11 .

(3) الحجرات : 12 .

(4) رواه أحمد ورواته ثقات ، والطبراني في الكبير والأوسط ، من حديث المقداد بن الأسود . . أ هـ ترغيب .

(5) متفق عليه ، من حديث عائشة ، ولفظه للبخاري في كتاب الأدب من صحيحه .

(6) رواه مسلم وغيره ، عن أبي هريرة . . أ هـ ترغيب .

(7) متفق عليه ، من حديث ابن مسعود قاله العراقي في تخريج الإحياء .

وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها .

فقال : « **لا خير فيها هي في النار** » صححه الحاكم [1] وفي الحديث أيضا : **أيضًا** : «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم**»[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من دعا رجلا بالكفر أو قال : يا عدو الله .. وليس كذلك إلا حار عليه** »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **مررت ليلة أسري بي بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم** »[4] .

(فصل) في الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب :

صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم** » فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس كما قال النبي ﷺ : « **ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى : يا رسول الله ، قال : شراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت** »[5] والعنت : المشقة .

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يدخل الجنة نمام** »[6] والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس أو بين اثنين بما يؤذي أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا ، إلا أن يكون في ذلك مصلحة

---

(١) وابن حبان وأحمد والبراز .

(٢) صححه الحاكم ، قاله المصنف في رسالته الصغري .

(٣) رواه البخاري ومسلم ، من حديث لأبي ذر ، ومعنى « حار » رجع . . أهـ ترغيب .

(٤) رواه أبو داود ، من حديث أنس ، وذكر أن بعضهم رواه مرسلا . . أهـ ترغيب ، وقال العراقي : والمسند أصح . . أهـ من تخريج الإحياء .

(٥) رواه أحمد ، من حديث عبد الرحمن بن غنم ، وفي سنده شهر بن حوشب ، فيه كلام معروف ، وبقية رجاله محتج بهم في الصحيح . . أهـ ترغيب .

(٦) متفق عليه ، من حديث حذيفة . . أهـ عراقي .

أو فائدة كتحذيره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله ، ومن ذلك افساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده .

لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « **ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده** »[1] . نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) في الترغيب في الإصلاح بين الناس . قال الله تعالى : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيمًا** ﴾[2] .

قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس يريد أن لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله : ﴿**إلا من أمر بصدقة**﴾ ثم حذف المضاف : ﴿ **أو معروف** ﴾ قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها وقوله تعالى : ﴿ **أو إصلاح بين الناس** ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري : « **ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم** » قال : بلى يا رسول الله . . قال : « **تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا** »[3] .

وروت أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله** »[4] .

---

(١) رواه أبو داود بلفظ « ليس منا من خبب . . . » إلخ من حديث أبي هريرة والنسائي وابن حبان ، وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار وابن حبان ، من حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خبب : خدع وأفسد . . أ هـ ترغيب .

(٢) النساء : ١١٤ .

(٣) رواه البزار والطبراني ، من حديث أنس ، وأشار المنذري في الترغيب إلى ضعفه إذ صدره بلفظ : « روي » وسكت عليه في آخره ، وذلك علامة الضعف عنده .

(٤) رواه ابن ماجة ، وابن أبي الدنيا ، والترمذي ، وقال : غريب لا يعرف إلا من حديث محمد بن يزيد بن حنيش قال المنذري : رواته ثقات ، وفي محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح ، وهو شيخ صالح . . أ هـ ترغيب .

وروى أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف**﴾ الآية . . بعينه .

ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال تعالى : ﴿ **ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا**﴾ أي ثوابًا لا حد له .

وفي الحديث : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا** » رواه البخاري .

وقالت أم كلثوم [1] : ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء : في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه . رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما عمل شئ أفضل من مشي إلي الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين** »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : «**من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه** »[3] وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتدراكنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

---

(١) رواه مسلم من حديثها قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء .

(٢) رواه الأصبهاني ، وأشار المنذري في ترغيبه إلى ضعفه .

(٣) رواه الأصبهاني من حديث أنس وهو حديث غريب جدا قاله المنذري .

أذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى : ﴿ والَّذِينَ يُؤْذُونَ المؤْمِنِينَ والمؤْمنات بِغَيرِ مَا اكتَسَبُوا فَقَد احتَمَلُوا بُهتَانًا وإثمًا مبينًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ واخفض جَنَاحَكَ لِمَن اتبَعَكَ مِنَ المؤمنينَ ﴾(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب** »(٣) .

وفي رواية : « **فقد بارزني بالمحاربة** » ـ أي أعلمته أني محارب له . وفي الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : أما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : « **يا أبا بكر .. لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك** » فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا أخوتاه . . أغضبتكم؟ قالوا : لا . . يغفر الله لك يا أخي . وقوله : مأخذها زي لم تستوف حقها منها .

(فصل) في قوله تعالى : ﴿ واصبر نَفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاة والعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾(٤) الآيات . .

وهذه الآيات في تفضيل الفقراء وسبب نزولها أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع الفقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد . . اطرد الفقراء عنك فإن نفوسنا تأنف أن نجالسهم فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساؤهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾(٥) .

---

(١) الأحزاب : ٥٨ .
(٢) الشعراء : ٢١١٥ .
(٣) رواه البخاري ، وفي سنده خالد بن مخلد القطواني .
(٤) الكهف : ٢٨ .
(٥) فاطر : ١٥ .

فلما آيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد . . إن لم تطردهم فاجعل لنا يوما ولهم يوما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾[1] أي لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾[2] ثم ضرب لهم مثل الغني والفقير بقوله : ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين** ﴾[3] : ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا** ﴾[4] فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا في صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمي إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضي الله عنهم ، هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشئ من الأكوان بل قالو ا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدي ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة** ﴾[5] الآية . . أي ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم ينقلبون وإن أصبحوا فلبابه نتقلبون لا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دثارهم ، ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص فالعام : الحاجة إلى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** ﴾[6] الآية . . والخاص : وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالا بالله عز وجل وشوقا إليه وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل . اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك وأن تسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

---

(١) الأنعام : ٥٢ .
(٢) الكهف : ٢٨ .
(٣) الكهف : ٢٩ .
(٤) الكهف : ٣٢ .
(٥) الكهف : ٤٥ .
(٦) الأنعام : ٥٢ .

إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى : ﴿ ولا تمشِ في الأرضِ مَرَحًا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] وقال النبي ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار »[2] وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »[4] .

وفي الحديث أيضا : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الإسبال في الإزار والعمامة ، من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »[6] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار »[7] .

---

(١) لقمان : ١٨ .

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة . . أهـ ترغيب .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث ابن عمر بلفظ « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء » وله شاهد في حديث أبي سعيد الخدري عند مالك والنسائي وأبي داود وابن ماجة وابن حبان ، ومن حديث أبي هريرة عند مالك والبخاري ومسلم وابن ماجة ، قاله في الترغيب .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، والمسبل يطول ثوبه يرسله إلى الأرض كأنه يفعله تجبرًا وخيلاء . . أهـ ترغيب .

(٥) تقدم أنه رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث ابن عمر .

(٦) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث ابن عمر ، وفي سنده عبد العزيز بن أبي رواد ، والجمهور على توثيقه . . أهـ ترغيب .

(٧) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، وشاهده من حديث أنس عند أحمد ، ورواته رواة الصحيح ، قاله المنذري في الترغيب .

وهذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يصلي مسبلا إزاره قال له رسول الله ﷺ : **« اذهب فتوضأ »** ثم جاء فقال : **« اذهب فتوضأ »** .

فقال له رجل : يا رسول الله . . مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه ؟ فقال : **« إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلا إزاره »**[1] .

ولما قال ﷺ : **« من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »**[2] فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله . .

إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله ﷺ : **« إنك لست تفعله خيلاء »** .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة السادسة والخمسون :

لبس الحرير والذهب للرجال

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **« من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »**[3] وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ : **« حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي »**[4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها . أخرجه البخاري .

---

(١) رواه أبو داود ، وفي سنده أبو جعفر المدني ، قال المنذري : إن كان محمد ابن الحسن فروايته عن أبي هريرة مرسلة ، وإن كان غيره فلا أعرفه . . ترغيب .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، قاله المنذري .

(٣) وكذا الترمذي ، والنسائي ، كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . . . أهـ ترغيب .

(٤) رواه أبو داود ، والنسائي ، من حديث علي رضي الله عنه بنحوه .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو .

وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين سواء أكان قباء أو قبطيا أو كلوثة ، وكذلك إذا كان الأكثر حريرا كان حراما ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال سواء كان خاتما أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله .

وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتما من ذهب فنزعه وقال : « **يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده** »[1] .

وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزرقش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز لباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب : « **هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم** »[2] فدخل الصبي في النهي وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب يرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون :

إباق العبد

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة** »[3] .

وقال ﷺ : « **أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة** »[4] .

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة**

---

(١) رواه مسلم ، من حديث ابن عباس .

(٢) تقدم من حديث علي عند أبي داود والنسائي .

(٣) من حديث جرير رضي الله عنه كما في الترغيب .

(٤) رواه مسلم من حديث جرير أيضا .

الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو »[1] .

وعن فضالة بن عبيد مرفوعا : **« ثلاثة لا يسئل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد أبق ومات عاصيا ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده»**[2] .

أي أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ .

كذا ذكره الواحدي رحمه الله .

الكبيرة الثامنة والخمسون :

الذبح لغير الله عز وجل

مثل من يقول : باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان : قال الله تعالى : **﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسمُ الله عليه﴾**[3] .

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله : **﴿ وما ذبح على النصب﴾**[4] .

وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى .

وقال عطاء : ينهى عن ذبائح قريش والعرب على الأوثان .

وقوله : **﴿ وإنه لفسق ﴾**[5] يعني وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾**[5] أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة .

---

(١) بسند فيه زهير بن محمد ، فيه كلام هين ، ورواه الطبراني في الأوسط ، من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ، أفاده المنذري .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ : « فخانته بعده » بدل « تبرجت » ، وكذا الطبراني ، والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » وعنده : « وأمة أو آبق من سيده » . . أهـ ترغيب .

(٣) الأنعام : ١٢١ .

(٤) المائدة : ٣ .

(٥) الأنعام : ١٢١ .

قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس : كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل وأنت تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **وإن أطعتموهم** ﴾ . يعني في استحلال الميتة : ﴿ **إنكم لمشركون** ﴾ .

قال الزجاج : وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك .

فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟ قلت : إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة ومنها قوله : ﴿ **وإنه لفسق** ﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلي أوليائهم ليجادلوكم** ﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ومنها قوله : ﴿ **وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ .

والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى ؟ فقال النبي ﷺ : « **اسم الله على فم كل مسلم** »[1] .

وأخبرنا أبو منصور أيضًا بإسناده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «**يكفيه اسمه وإن نسي يسمي حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل**»[2] . وأخبرنا عمرو بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا : يا رسول الله . . إن قوما يأتون باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **سموا عليه وكلوا** »[3] .

هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « **لعن الله من ذبح لغير الله** » .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه مروان بن سالم الغفاري ، وهو متروك . . أ هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه الدار قطني ، وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ، ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه . . أ هـ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام .

(٣) كذا فيما وقع لنا من الأصول الخطية ، وهو خطأ وصوابه « يزيد » ، وهو والد إبراهيم التيمي .

فيمن ادعي إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ادعي إلي غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام** » رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر** » رواه البخاري .

وفيه أيضا : « **من ادعي إلى غير أبيه فعليه لعنة الله** » .

وعن زيد بن شريك[1] قال : رأيت عليا رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول :

والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة .

فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وشئ من الجراحات وفيها :

قال رسول الله ﷺ : « **المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفا ولا عدلا ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمة المسلمين واحدة** » . رواه البخاري .

وعن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **ليس منا رجلا ادعي إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعي ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال : يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** » .

أي رجع عليه رواه مسلم .

فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

---

(١) صوابه شريك بن زيد .

الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى : **﴿ ومِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا و يُشهِد اللهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ وهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وإذا تَولى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا ويُهلكَ الحَرثَ والنَّسلَ واللهُ لا يُحبُ الفَسادَ ﴾**[1] ومما يذم من الألفاظ : المراء والجدال والخصومة .

قال الإمام « حجة الإسلام » الغزالي رحمه الله : المراء طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه .

قال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها .

قال : وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي به مقصودا من مال أو غيره ، وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا، والمراء لا يكون إلا اعتراضا . هذا كلام الغزالي .

وقال النووي رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل .

قال تعالى : **﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾**[2] .

وقال تعالى : **﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾**[3] .

وقال تعالى : **﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾**[4] .

قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا ، وإن كان في مدافعة الحق ، أو كان جدالا بغير علم كان مذموما وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه .

والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضهم : ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصُومة .

---

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٢) النحل : ١٢٥ .
(٣) العنكبوت : ٤٦ .
(٤) غافر : ٤ .

فإن قلت : لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه ، فالجواب : ما أجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضي فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه .

كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره ، فهذا هو لامذموم .

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ففعل هذا ليس حراما ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الأخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه .

فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة .

والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها .

روينا في كتاب للترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما »**[1] .

وجاء عن علي رضي الله عنه قال : إن الخصومة لها قحم . قلت : القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي المهالك .

---

(١) وقال حديث غريب . . أهـ ترغيب .

(فصل) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع »**[1] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال »** ثم تلا : **﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾**[2] الآية[3] .

وقال ﷺ : **« أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم »** رواه ابن عمر[4] .

وقال النبي ﷺ : **« المراء في القرآن كفر »**[5] .

(فصل) يكره التغير في الكلام بالتشدق وتكلف السجع بالفصاحة وبالمقدمات التي يعتادها المتصافحون فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظا يفهمه جليا ولا يثقله .

روينا في كتاب للترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة»** .

قال الترمذي : حديث حسن وروينا فيه أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : **« إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »** قالوا: يا رسول الله . قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال : «المتكبرون» .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ، والأصبهاني في الترغيب ، وفيه رجاء أبو يحيى ، ضعفه الجمهور ، قاله العراقي في تخريجه .

(٢) الزخرف : ٥٨ .

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه قاله العراقي في تخريج الإحياء ، و جعله في الترغيب من سند أبي هريرة وعزاه الترمذي إلى ابن أبي الدنيا في الصمت

(٤) رواه يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قاله المصنف في الصغرى معلقا بلفظ (يروى) ، وله شاهد من حديث معاذ عند الطبراني في معاجمه الثلاثة، وفيه عبد الحكيم بن منصور متروك ، وله طرق أخرى في الأوسط فيها انقطاع ، أفاده في مجمع الزوائد .

(٥) رواه أبو داود ، وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ، ورواه الطبراني وغيره ، من حديث زيد بن ثابت . . أهـ ترغيب .

قال الترمذي : حديث حسن، قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدق من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر . . والله أعلم .

الكبيرة الحادية والستون :

منع فضل الماء

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « **لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ** »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من يضع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة** »[3] .

وقال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل .ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه منها لم يف له .ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وبكذا فصدقه وهو على غير ذلك** » أخرجاه في الصحيحين .

وزاد البخاري : « **ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك** » .

---

(١) الملك : ٣٠ .

(٢) متفق عليه : من حديث أبي هريرة في منتقى الأخبار .

(٣) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده . . أهـ منتقى .

نقص الكيل والزراع والميزان وما اشبه ذلك

قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾[1] يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن : قوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[2] يعني يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر - إذا اتزنوا - لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[3] أي ينقصون في الكيل والوزن وقال السدي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما[4] قال : قال رسول الله ﷺ : **« خمس بخمس »** قالوا : يا رسول الله . . وما خمس بخمس؟ قال : **« ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون - يعني كثرة الموت - ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر » ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾**[5] .

قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن **﴿ليوم عظيم﴾**[6] أي يوم القيامة **﴿ يوم يقوم الناس ﴾**[7] .

من قبورهم **﴿ لرب العالمين﴾**[8] أي لأمره ولجزائه ولحسابه ، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء .

---

(١) المطففين : ١ .
(٢) المطففين : ٢ .
(٣) المطففين : ٣ .
(٤) رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن ، وله شواهد ، قاله المنذري ، وشاهد من حديث ابن عمر البزار ، وبريدة عند النسائي ، والبيهقي .
(٥) المطففين : ٤ .
(٦، ٧) المطففين : ٥ .
(٨) المطففين : ٦ .

وعن مالك بن دينار قال : دخلت على جار لي وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار، جبلين من نار ، قال: قلت : ما تقول؟ قال : يا أبا يحيى . . كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما واكتال بالآخر .

وقال مالك بن دينار: فقمت فجعلت اضرب أحدهما بالآخر فقال : يا أبا يحيى . . كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات في مرضه .

والمطفف هو الذي ينقص الوزن والكيل مطففا لأنه لا يكاد يسرق إلا الشئ الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب.

وقيل : واد في جهنم لوسيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره .

وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وازن بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله .

وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له : يا أخي . . مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟ قال : يا أخي . . لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصا؟ قال : لا والله . . ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني . . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصًا ؟ .

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم وكذا التاجر إذا شد يده في الذراعة وقت البيع وأرخى وقت الشراء .

وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض وويح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة .

فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

الأمن من مكر الله

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾[1] أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون .

قال الحسن من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فإذا هم مبلسون ﴾ وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾** »[2] الإبلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة وقال ابن عباس : أيسوا من كل خير .

وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين .

وفي الأثر أنه لما مكر إبليس وكان من الملائكة طفق جبريل وميكال يبكيان فقال الله عز وجل لهما : ما لكما تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك ، فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري .

وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** »[3] فقيل له : يا رسول الله . . أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء** » .

---

(١) الأنعام : ٤٤ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف . . أ هـ مجمع الزوائد .

(٣) رواه الترمذي في جامعه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال : حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضي الله عنها وعن عائشة وأبي ذر رضي الله عنهم .

وفي الحديث الصحيح : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** »[1] .

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم** » .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر .

وروي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فطلع عليها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ، فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد ، قالت : لا أجيبك إلى ريبة ، قال لها أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك ، قال : أتنصر ، قالت له : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيرا ما كان رسول الله ﷺ يحلف : « **لا ومقلب القلوب** » رواه البخاري .

ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكراهية وغير ذلك من الأوصاف وفي التنزيل : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾[2] .

قال مجاهد المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنانه : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾[3] أي عقل .

واختار الطبري أن يكون ذلك إخبارا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد

---

(١) يعني البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) الأنفال : ٢٤ .
(٣) ق : ٣٧ .

منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئا إلا بمشيئة الله عز وجل .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك** » فقلت : يا رسول الله . . إنك تكثر بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال : « **وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه** » .

فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك إن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله في هذه الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرا بمتاع غيرك ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير[1] .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم إذا هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العظيم .

يا ابن آدم . . الأقلام عليك تجري ، وأنت في غفلة لا تدري ، ابن آدم . . . دع المغاني والأوتار ، والمنازل والديار والتنافس في هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار .

قال الربيع سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2] .

ينادي مناد من قبل العرش أين فلان أين فلان ؟ .

فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه .

---

(١) العير بفتح العين : الحمار .

(٢) في الأصول المعروفة للكتاب نقص في آخر الكبيرة الثالثة والستين ، وفي أول الكبيرة الرابعة والستين ، وسيبقى هذا النقص حتى تظهر نسخة فيها هذا النقص فيكمل ، مع العلم بأننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم نجده .

قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض .

فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقي الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له :

عبدي . . أما علمت أني كنت أشاهد عملك في دار الدنيا فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى :

عبدي . . . أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول : بلى يا ر ، فيقول الله تعالى : أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى :

يا عبدي عصيتني ؟ فيقول : يا رب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى : عبدي فما ظنك بي اليوم ؟ فيقول : يا رب أن تعفو عني ، فيقول الله تعالى :

عبدي . . تحققت أني أعفو عنك؟ فيقول : نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها علي .

قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان من سيئة فغفرتها لك وأنا الجواد الكريم .

إلهنا . . . لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضا وأثبتنا في ديوان أهل الصفا ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء أملنا ، وأحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا ، وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : **« لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم »** رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : **« لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »** رواه مسلم[1] .

وقال ﷺ : **« من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه »** أخرجه أبو داود والنسائي[2] .

وقال : **« من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقا في ديوان لا يمحى ولا يبدل »** .

وعن حفصة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **« رواح الجمعة واجب على كل محتلم »**[3] أي على كل بالغ .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

---

(١) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم ، وكذا رواه ابن ماجة من حديثهما كما في الترغيب والترهيب .

(٢) والترمذي وحسنه ، وابن ماجة وابن حبان ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم وقال : على شرط مسلم ، كلهم من حديث أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبي قتادة عند أحمد والحاكم ، ومن حديث أسامة عند ابن حبان ، ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضا ، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجة ، ومن حديث جابر عند أبي يعلي ، ومن كلام ابن عباس عنده أيضا ، ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد ، أفاده في الترغيب والترهيب ، وقاله المصنف في الصغرى : إسناده جيد قوي .

(٣) حديث حفصة رواه النسائي قاله المصنف في الصغرى .

الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾[1] .

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات .

وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون : « **حي على الصلاة، حي على الفلاح** » فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

وفي الصحيحين[2] أن رسول الله ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** » .

وفي رواية لمسلم أيضا من حديث أبي هريرة : « **لقد هممت أن آمر فتيتي أن يجمعوا لي حزما من حطب ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم** » .

وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر .

فقد روى أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادي فلم يمنعه من إتيانه عذر – قيل وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض – لم تقبل منه الصلاة التي صلى** » يعني في بيته .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولايصلي في جماعة ولا يجمع ، فقال : إن مات هذا فهو في النار .

---

(١) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . . ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » قال : نعم . . . قال : « **فأجب** » . وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله . . . إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال له النبي ﷺ : « **تسمع : حي علي الصلاة ، حي علي الفلاح** » قال : نعم . . . قال : « **فأجب ، فحي هلا** » .

وفي رواية أنه قال : يا رسول الله . . . إني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة ؟ وقوله : « **فحي هلا** » أي تعال وأقبل .

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له** » قالوا وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « **خوف أو مرض** » .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **لعن الله ثلاثة : من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلا سمع : حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب**»[1] .

قال أبو هريرة : لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع : حي على الصلاة ، حي على الفلاح ثم لا يجيب .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الآذان ، قال أيضا : من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدي وإنها من سنن الهدي ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وقد رأيتنا وما يتخلف عنه إلا منافق معلوم

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن ترك الصلاة .

النفاق أو مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف ـ يعني يتكئ عليهما من ضعفه ـ حرصا على فضلها وخوفا من الإثم في تركها[1] .

(فصل) وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[2] أنهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات .

وفي قوله تعالى : ﴿ **ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾[3] أي خطاهم .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه** »[4] .

وقال ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط** »[5] رواه مسلم .

الكبيرة السابعة والستون :

الإضرار في الوصية

قال الله تعالى : ﴿ **مِن بَعدِ وَصِيةٍ يُوصَىٰ بِهَا أو دَيْنٍ غَيرَ مُضَارٍّ** ﴾[6] أي غير مدخل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه

---

(١) رواه مسلم وزبو داود وغيرهما . . أ هـ ترغيب .
(٢) الأنبياء : ١٠٥ .
(٣) يس : ١٢ .
(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث أبي هريرة بنحو ما هنا كما في الترغيب .
(٥) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ، كلهم من حديث أبي هريرة وشاهده من حديث أبي سعيد الخدري عند ابن ماجة وابن حبان . . أ هـ ترغيب .
(٦) النساء : ١٢ .

﴿ وَصية مِنَ اللهِ واللهُ عَليمٌ حَليمٌ ﴾[1] .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾[2] في شأن المواريث : ﴿ يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ﴾[3] .

قال مجاهد : فيما فرض الله من المواريث . وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله : ﴿ يدخله نارا ﴾ .

وقال الكلبي : يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالا: ﴿ يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » .

ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية : ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار ﴾ رواه أبو داود وغيره [4] .

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » صححه الترمذي[6] .

---

(١) النساء : ١٣ ، ١٤ .
(٢) النساء ١٤ .
(٣) النساء ١٢ .
(٤) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، ورواه ابن ماجة ولفظه : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى جاف وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » . . أ هـ ترغيب وترهيب .
(٥) رواه ابن ماجة ، من حديث أنس ، وأشار المنذري إلى ضعفه وقال المصنف في الصغرى : في سنده مقال .
(٦) من حديث عمرو بن خارجة ، وفي سنده إسماعيل بن عياش ، في روايته عن غير الشاميين ضعف .

الكبيرة الثامنة والستون :

المكر والخديعة

قال الله عز وجل : ﴿ **ولا يحيق المَكْرُ السَّيِّئُ إلا بأهلِهِ** ﴾[1] . وقال النبي ﷺ : « **المكر والخديعة في النار** »[2] . وقال ﷺ : « **لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان** » . وقال تعالى عن المنافقين : ﴿ **يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾[3] .

قال الواحدي : يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا في الظلمة .

وقال ﷺ في حديث : « **وأهل النار خمسة ـ وذكر منهم ـ رجلا لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك** »[4] .

الكبيرة التاسعة والستون :

من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة . وأن عمر أراد قتله بما فعل فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدراً . إذا ترتب على جسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبي أو نهب أو شيء من ذلك . فهذا ممن سعى في الأرض فساداً وأهلك الحرث والنسل .

---

(١) فاطر : ٤٣ .
(٢) رواه البزار ، من حديث أبي هريرة ، وفيه عبد الله بن أبي حميد ، أجمعوا على ضعفه . .
أ هـ مجمع الزوائد .
(٣) النساء : ١٤٢ .
(٤) رواه مسلم ، من حديث عياض بن حمار المجاشعي .

فيتعين قتله وحق عليه العذاب . **فنسأل الله العفو والعافية .**

وبالضرورة يدري كل ذي جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات. فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية إنه لطيف خبير جواد كريم ..

الكبيرة السبعون :

سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى**[1]**: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب** »[2] وقال ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » مخرج في الصحيحين .

وقال ﷺ : « **الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذي الله أوشك أن يأخذه** » أخرجه الترمذي[3] .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافتري عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : « **الله الله** » كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أي احذروا النار .

---

(١) في الحديث القدسي .

(٢) عزاه في الصغرى إلى البخاري فقط ، وقال في الميزان في ترجمة خالد ابن مخلد القطواني : ولا خرجه من عدا البخاري ، ولا أظنه في المسند، وأقره الحافظ العسقلاني في الفتح ، وعد من أخرجه أو أخرج شاهدا له وليس فيه مسلم ، فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ ، والحديث من مسند أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) من حديث عبد الله بن مغفل ، وقال : غريب . . أ هـ مشكاة .

وقوله : « **لا تتخذوهم غرضا بعدي** » أي لا تتخذوهم غرضا للسب والطعن كما يقال : اتخذ فلان غرضا لسبه أي هدفا للسب

وقوله : « **فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم** » فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح : « **حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق** » وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ ، وكذلك حب علي رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول .

فهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ : « **إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا** »[1] .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه . . أ هـ ، وزاد في منتخب كنز العمال عزوه إلى الحاكم في مستدركه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نسب ، فقال رسول الله ﷺ : **« من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي أصحابا وإخوانا وأصهارا وسيجئ قوم بعدهم يعيبونهم وينقصوهم فلا تواكلوهم ولا تشاربهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم »**[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا »**[2] .

قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق وهو أي الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشئ وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقا بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسول الله ﷺ وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أيوب السختياني رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق .

(فصل) وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر أجمعت علماء السنة أن

---

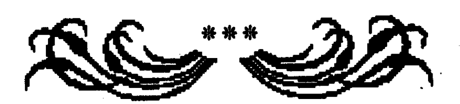
(١) رواه العقيلي في الضعفاء عن أنس في منتخب كنز العمال .

(٢) رواه الطبراني ، وفيه مسهر بن عبد الملك ، وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبراني أيضا . . أ هـ مجمع الزوائد ، وقال العراقي : رواه الطبراني بإسناد حسن .

أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية حيث قال : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور** »[1] . . الحديث .

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى : ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين**﴾[2] الآية . . لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار** ﴾[3] الآية . . . لا خلاف أيضا أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما . وقال تعالى : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾[4] قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه ، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين .



(١) رواه الترمذي وصححه .
(٢) النور : ٢٢ .
(٣) التوبة : ٤٠ .
(٤) الزمر : ٣٢ .

« تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير إلى مولاه الغني عما سواه **عبد الله بن سليمان آل بلهيد** غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخواته في الدارين ، وسائر المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنه غفور رحيم ...

آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين واله وصحبه أجمعين ».

وكان الفراغ منه لخمس عشرة خلت من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٤١ هجرية .

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي بأن يدي تفنى ويبقى كتابها

فإن عملت خيرا ستجزى مثله وإن عملت سوءا عليها حسابها



الفهـــرس